روايات عبير

٥

حُبٌّ .. في المدينة المفقودة

www.elromancia.com
مرمورية

روايات عبير

٥

www.elromancia.com

هل تحقّق "سارة" .. حلم حياتها ؟

● هناك ... في مكان ما بين "المكسيك" و"كوبا" .... ترقد آثار حضارة مجهولة عمرها أكثر من ألفي عام ، هناك كنوز مختبئة يحتفظ بها المحيط وكأنه يشعر بالغيرة عليها : وهذا هو الحلم المستحيل لكلّ عالم آثار شاب .

● مستحيل ، حقا ؟ ولكن إذا كان هناك عالم أكثر جنونا من "سارة" نفسها ينوي قبول هذا التحدّي .. فيا ترى .. هل يكون "چونا ثان هيلي" هو ذاك الرجل ؟ !

روايات عبير

حُبٌ في المدينة المفقودة

(٥)

إعداد وتقديم
سعيد محمد عبد المنعم

الناشر
المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م.
مكتب القاهرة
ص.ب ٣١٨ القاهرة ١١٥١١
جمهورية مصر العربية

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة ..
إلا بعد الحصول على موافقة خطّية من الناشر .

مقدمة

في هذه القصة الممتعة يجتمع الجمال والشباب والمال والعلم ، لتكوين سيمفونية رائعة من العواطف والأحاسيس المتباينة ، والصراعات التي تزيد الحب اشتعالاً.

هذه قصة عالمة آثار ، شابة حسناء أرملة لعالم في نفس المجال ..

كانت طالبة تحت إشرافه وكان قد نال جائزة " نوبل " للعلوم ، وطبقت شهرته الآفاق ثم لقي حتفه في حادث سيارة فجأة .

وقد أدت وفاته إلى وقف مشروع حفائر تحت المحيط بحثاً عن مدينة مفقودة .

صارعت الأرملة الشابة صراعا جبارا كي تستمر في إدارة المشروع .

وقد أدى هذا الصراع إلى وقوعها في غرام رجل المال المسؤول عن المؤسسة التي تمول المشروع .

سيرى القارئ العزيز ، مواقف عاطفية ، ومغامرات فوق الماء ، وتحته ، وفي جزر نائية تجعله يلهث وراء الأحداث حتى يصل إلى معرفة النهاية ....

هناك .. في مكان ما .. بين " المكسيك" و "كوبا " ، كانت ترقد بقايا حضارة مجهولة ترجع إلى أكثر من ألفي عام مضت .

ستجد كنوزا مدفونة ، يحميها المحيط ويغار عليها ....

كان ذلك حلم عالمة آثار شابة ....

هل كان تحقيق ذلك الحلم أمراً مستحيلاً .. ؟

مَنْ ، غير "سارة" – تلك المجنونة بحب العلم – يستطيع أن يقبل هذا التحدي ؟

وهل يمكن أن يكون "چوناثان هيلي " ذلك الرجل ؟

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

١- " هومير الفاريدو " .. عالم في آثار ما تحت البحار ، حائز على جائزة "نوبل" في العلوم . توفي في حادث سيارة ، قبل أن يكمل مشروعا مثيرا للكشف عن مدينة مجهولة في أعماق المحيط الأطلنطي .

٢- " سارة بايرز " ... عالمة آثار تحت البحار ، مساعدة " هومير الفاريدو " وأرملته . شابة حسناء ، لديها طموح إلى تكملة مشروع زوجها .

٣- " جوناثان هيلي " ... رجل أعمال مشهور بمدينة "نيويورك" رئيس مؤسسة "هيلي" المالية الممولة للمشروع . شاب وسيم ، ورياضي ، وسبق له الزواج ، لكن زواجه لم يستمر .

٤- "روسيل هيلي" ابن عم جوناثان " رجل أعمال ناجح ، يمتلك سلسلة فنادق ومنتجعات يرتادها كبار الأثرياء ورجال الأعمال ، ومن بينها جزيرة "النمر" التي تجري فوقها معظم أحداث قصتنا .

٥- "جيل فيرجسون" .. مساعدة "سارة" ، والمسؤولة عن معمل أبحاث البعثة العلمية ، متزوجة من عالم آثار يعمل بالصين .

الفصل الأول

عندما فتحت سارة الخطاب تلقت صدمة .. كانت بالتأكيد تنتظر هذه المفاجأة ، ولكن ليس بهذه السرعة .

مر شهران كي تتمالك نفسها وتستعيد سيطرتها على حياتها ، واعتقدت أنه سيتاح لها الوقت كي تسترد أنفاسها .

وضعت الورقة فوق المكتب وهي تتنهد، كانت بلون العاج ، وقد علاها شعار "مؤسسة هيلي" وعنوانها : الحي الخامس بنيويورك .

كما اشتملت على قائمة بأسماء أعضاء مجلس الإدارة وتوقيعاتهم التي تدل على أنها مؤسسة مرموقة ، وكان نص الخطاب :

الدكتورة سارة بايرز

قسم الآثار

جامعة جورهام

٣٨١٠ بورتسموث - نيوهامبشاير

عزيزتي الدكتورة بايرز

اسمحي لي أن أقدم عزائي الخالص لوفاة زوجك العزيز .

لقد كانت الحادثة التي حرمتنا من الأستاذ "الفاريدو" حادثة مفجعة .

ولم يفتقده زملاؤه علماء الآثار فحسب ، وإنما أيضاً كل المهتمين بعلوم أعماق البحار الذين كان يلهمهم بشجاعته وذكائه إلى حد يصعب تصوره .

وكما لا يخفى عليك ، فإن الأموال المخصصة لاستكشاف خليج المكسيك للعام القادم كانت مخصصة مباشرة للأستاذ "الفاريدو"، فقد أصبح لزاما علينا أن نسحبها ، حيث كان وجوده ضرورياً لهذا المشروع .. وإذا ما واتتنا أخبار مهمة أو ظروف جديدة حول مشروعك الجديد ، فسنكون بالتالي على استعداد لإعادة النظر في قرارنا .

وقد خصصت لك المؤسسة مبلغ خمسة عشر ألف دولار أمريكي ، حتى يمكنك الاستمرار في أبحاثك في الحدود التي وضعها الدكتور "الفاريدو" .

www.elromancia.com

ومن أجل ذلك نرجو الاتصال بالدكتور " روبير ستوكماير " المسؤول عن مجال العلوم التكنولوجية .

ومع تمنياتنا الطيبة لك بالتوفيق في أبحاثك المقبلة نرجو أن تتقبلي آيات إعجابنا العظيم .

" تيرانس جـ . أولدهام "
المدير العام

قابلت سارة " تيرانس أولدهام " مرتين ، كان مستشار الرئاسة سابقاً ، وهو رجل مميز للغاية له علاقات عديدة ، وإن كان بارد الطبع إلى حد بعيد .

كان سلوكه تجاه "سارة" يتسم بالتحفظ إلى حد ما ، ويرجع ذلك -دون شك - إلى أنها صغيرة وجميلة للغاية كي تنهمك مثله في أعمال جادة ، ولهذا كان لـ"سارة " الحق في أن ترفع سماعة الهاتف وتطلبه .

بدا متعاطفاً ولطيفاً ، ولكنه كان جامداً معها ، كان من الواضح أن المؤسسة قد عقدت آمالا كبيرة عليها ، وتوقع الجميع أن يسمعوا عنها أخبارا سارة في القريب ، وقد بدأت تباشيرها تظهر .

وباختصار كانوايعرفون - دون أن يفحصوا - أن الأموال التي خصصت للدكتور - "الفاريدو " الحائز على جائزة نوبل -بسبب شهرته العالمية - لا بسبب زوجته الباحثة اللامعة ، وإن كانت مجهولة .

لحسن الحظ لم يكن " أولدهام " الملجأ الوحيد في حالة الاعتراض .

وطالما رفض الاستمرار في العقد الذي وقعته المؤسسة مع "هومير الفاريدو " فلم يبق أمام "سارة " سوى البحث عمن تلجأ إليه من بين أعضاء مجلس الإدارة .

فحصت - بسرعة - قائمة الأعضاء التي كانت تضم مشاهير أساتذة الجامعة والسياسيين ورجال الأعمال ، وجدت من بينهم واحدا يمكنه أن يساعدها في كسب قضيتها .

وكان "هومير الفاريدو" قد علمها كل ما يعرفه ، ومن بين ذلك كيفية المناورة ببراعة مع الأغنياء والأقوياء .

قضت ساعتين في دراسة سريعة لعصر ما قبل تاريخ وسط غرب أمريكا .

ثم أعطت الخطاب إلى إحدى زميلاتها ، الدكتورة "چيل فيرجسون " المتخصصة في التعرف على أسس الحضارة الهندية والحفاظ عليها .

وهي عضو رئيسي في البعثة إلى الخليج المكسيكي وفي نفس الوقت من أحسن صديقات "سارة " .

هزت "چيل" رأسها وهي ترد الرسالة إلى " سارة" .

- هل تحدثت في هذا الموضوع مع " أولدهام " ؟

- هذا الصباح بالذات ، دون أن أصل إلى نتيجة .

لقد طلبت منه فقط أن يمنحني مهلة قليلة ، حتى أتمكن من الحصول على مصادر أخرى للتمويل قبل أن ينفذوا قرارهم،ومن المفهوم أنه قبل ذلك - مع المجاملات المعتادة - لكنه في قرارة نفسه غير مقتنع .

أطلقت زفرة ضيق :

- ولن أفكر في رد فعل البحرية والحكومة المكسيكية عندما يعرفون بالقرار .

ولا شك أنها ستدفننا في الملح .

- إن مزاجك معتل يا "سارة" ، وأنت مجهدة ، ولا أظن أن ... قاطعت "سارة" صديقتها بحركة عصبية :

- إن هذا الموضوع الخاص ببعثة خليج المكسيك هو كل ما بقي لي ، وهو الذي ربطني بـ"هومير " حيث بدأناه معاً،وقد عقدت النية على محاولة مقابلة أعضاء مجلس الإدارة كي يجبروا " أولدهام" على الرجوع عن قراره .

ولكن قبل الذهاب إلى " نيويورك " يجب أن أعرف ما إذا كان أحد هؤلاء السادة مهتما بعلم الآثار اهتماماً شخصياً .. فهل يمكنك مساعدتي ؟ كانت المؤسسة تضم أربعة عشر عضواً ، ولأسباب مختلفة استبعدت نصف الأعضاء تقريباً .

وفي لحظة معينة ، وقفت "سارة " أمام اسم " چوناثان م .هيلي" وقالت :

- لاحظي ! إنني اعتقدت أن اسمه هو "چوناثان ل. هيلي " وليس "چوناثان م . هيلي" !

-إن "چوناثان موريسون هيلي " هو ابن عم " چوناثان لينلي هيلي " ، وقد تم

انتخابه بدلا من والده في شهر سبتمبر .

ومن الطبيعي ألا تلاحظي ذلك .

فقد تم ذلك بعد الحادث مباشرة .

كانت "چيل" تشير إلى حادث السيارة الذي أودى بحياة "هومير الفاريدو" ، وهو متجه إلى "الشاليه" الخاص به في الجبل يوم الجمعة مساءً ، حيث انقلبت السيارة على الطريق الذي أصبح زلقاً بسبب الأمطار ، وأوراق الأشجار الجافة.

بينما كانت "سارة" بمفردها في "بورتسموث" .

أصبحت "چيل" – بعد علاقة طويلة منذ سنوات – الصديقة الحميمة والقريبة لـ"سارة" منذ وفاة "هومير" .

كانت تعيش بمفردها ، لأن زوجها كان يعمل في أعمال معمارية بالصين منذ خمسة عشر شهراً .

ولم تشعر "سارة" بالضيق عندما دعت صديقتها بعد أن برح بها الحزن .

ولما لم يبد على "سارة" أي تأثير استطردت "چيل" :

– لو كنت مكانك لتحرّيت عنه إنه يبدو شخصاً جديراً بالاهتمام .

قضت "سارة" بقية النهار في المكتبة .

كان كتاب "آل هيلي – أسرة أمريكية عريقة" – قد حقق مبيعات عالية في الشتاء الماضي .

تخرج "هيلي" الابن من جامعة "ييل" في سن الخامسة والعشرين ، من كلية "سلون" لإدارة الأعمال ، التي تخرج فيها أكبر مديري المشروعات بالدولة .

وقد أصبح الآن من أكبر المستثمرين والمساهمين في البنوك بالولايات المتحدة الأمريكية.

وكان قد تزوج وهو في سن السادسة والعشرين ، وطلق زوجته بعد خمس سنوات.

وتزوجت مطلقته ثانية من أحد قضاة "ديترويت" وكانت وريثة جميلة ، وساحرة ومشهورة بمجتمع "نيويورك" أما بالنسبة له ، فقد وصفوه بأنه رجل قاس في

عمله ، ولا يرتبط خارج أسرة "هيلي" ولكن المهم لم يكن مذكوراً بالكتاب .

فقد أعلن "چوناثان موريسون" في إحدى المقابلات الصحفية مع مجلة "نيويورك تايمز" أنه سينشغل بأنشطة مؤسسة "هيلي" بسبب المشاكل المالية ، وتداخل المشروعات ورؤوس الأموال واستراتيجيات الاستثمار ، مما جعله لا يحس بوجوده ، وقد فتحت له المؤسسة نافذة تطل على الفن والبحث العلمي والتقني والحفريات الأثرية . كان مغرماً بآثار ما تحت البحار .

وقد أمضى السنوات الأخيرة في جزر البحر الكاريبي يقوم بعمليات الغوص والبحث بين بقايا السفن الغارقة .

وهكذا وجدت أن "چوناثان موريسون هيلي" أحد الأعضاء البارزين والرئيس الشرفي لمؤسسة "هيلي" – من هواة آثار ما تحت البحار لم يعد من المجدي بعد هذه المعلومات أن تستمر في البحث .

أغلقت "سارة" الكتاب وقد علت شفتيها ابتسامة رضا .

مر يومان ، وذهبت "سارة" إلى مطار "بوسطون" ، حيث استقلت الطائرة إلى "نيويورك"، لم تسفر اتصالاتها المتكررة بمكتب "چوناثان هيلي" عن نتيجة ، إذ كان الرد المتكرر هو أن السيد "هيلي" في اجتماع .

كانت سكرتيرته تدعى "جودي ساندز" فتاة لطيفة وعلى استعداد للتعاون ، وقد يكون ذلك أسلوبها المهذب لاستبعادها .

تقدمت "سارة" إليها باعتبارها الدكتورة "سارة بايرز" من جامعة "جورهام" ولم تفصح عن الغرض من الزيارة خوفاً من أن يتصل "هيلي" بـ"أولدهام" في الحال ليسأله عن معلوماته حول الموضوع قبل أن يتاح لها فرصة الكلام ، وهو ما يجب عليها أن تتجنبه تماما .

وأخيراً استقر قرارها على أن الوصول لأهدافها لن يتم إلا بالحضور بنفسها إلى مكتب "هيلي" وتجربة حظها. و كانت لا تواجه مشاكل مالية ، حيث إنها تعيش عيشة رغدة من عائدات كتب زوجها الراحل ومرتبها من الجامعة ومن برامجها التي تذيعها محطة تليفزيون "بي بي إس" ، وكانت "سارة" من جهة أخرى تعرف كيف تؤثر على محدثها وتسحره . كانت تعرف كيف ترتدي

www.elromancia.com

الملابس المناسبة وكيف تأتي بالحركات الرقيقة ، والاشتراك في الأحاديث العامة ، رغم أنها لم تكن تهتم بها . كانت قد تعلمت كل ذلك من "هومير" .

واليوم تجد نفسها شاكرة له ذلك .

لقد اجتازت طريقاً طويلاً منذ أن كانت تعيش على سواحل ولاية " مين " إلى أن كبرت وانتقلت إلى جامعة " نيوها مبشاير" التي أصبحت تقوم بالتدريس بها الآن .

قبل أن تدخل مبنى مكاتب "هيلي" أخذت نفسا عميقا . وعندما خرجت من المصعد أطلت مباشرة على قاعة انتظار مجهزة بالأثاث الفاخر والإضاءة المبهرة والموائد المنخفضة . تركها الحارس المكلف بحماية القاعة تدخل دون أية كلمة .

كانت ترتدي رداءً كاملاءسترته من الصوف الأسود فوق تنورة سادة ، وياقة عالية تحتها قميص من الحرير بلون المرجان ، وكاب أسود من الكشمير .

كانت تبدو من سيدات الأعمال كثيرات التردد على ذلك المكان .

كانت مكاتب "هيلي" في الدور قبل الأخير . كان هناك رجلان يتناقشان في أحد الأركان ، كان أحدهما يصب القهوة في أقداح من الخزف الصيني موضوعة على صينية .

سألتها سيدة متوسطة العمر وهي تتقدم منها :

– هل يمكنني مساعدتك ؟

كان ثوبها من الحرير الرمادي اللامع يصدر صوتاً وهي تتحرك،ابتسمت لها "سارة" بألفة :

–أنا الدكتورة "سارة بايرز" ..حضرت لمقابلة "جوناثان هيلي" .

عادت السيدة إلى مكتبها الواقع في ركن بعيد عن الأنظار ثم نظرت إلى ورقة وهي تغمغم :

– "بايرز" ...أليس لديك موعد ؟

ردت "سارة" دون أن تقدم عذراً مقبولا :

– لا .

ولكنها أظهرت خواتمها الثمينة وعقد اللؤلؤ مع نفاد صبر ، قالت وهي تفترض

أنها صديقة لـ "هيلي" :

– اتبعيني !

وجدت "سارة" نفسها – فوراً – في حجرة منمقة مجهزة بمقاعد ذات مساند طراز " لويس السادس عشر" بها مائدة عليها الجرائد والمجلات الصادرة صباح اليوم بجميع اللغات ، كما شاهدت أثاثا دقيق الصنع ، ومكتباً ضخماً صنع من خشب الأرو على شكل نصف دائرة .

جلست خلف المكتب سكرتيرة صغيرة شقراء ، ذات شعر مجعّد وعينين زرقاوين.

تكاد تشبه في شكلها نجمة السينما " شيرلي تمبل " أطفأت جهاز الكمبيوتر ثم التفتت إلى "سارة" بنظرة متسائلة :

– أنا دكتورة " سارة بايرز " وقد طلبتكم خلال هذا الأسبوع .

–نعم ! إنني أتذكر ذلك تماماً أنا "جودي ساندز" وأعتقد أن السيد "هيلي" لم يتذكرك .

قالت "جودي" ذلك بابتسامة ساحرة ردت "سارة" :

–بالضبط !

– ومع ذلك نقلت له رسالتك وأنا متأكدة من أنه سيتصرف .

أصرت " سارة " على اللقاء قائلة :

– إنها مقابلة ضرورية للغاية ، وقد حضرت إلى هنا من " نيو هامبشير" خصيصاً كي أقابله .

بدت "جودي" محرجة فعلاً وهي تقول :

– الحقيقة .. أنا آسفة ، ولكننا هذا الأسبوع لم نقف عن العمل إلا إذا ... اسمعي :

سيحضرون إليه غداءه بين لحظة وأخرى . وإذا رغبت فإنني سأذهب لأقول له كلمة في صالحك حتى يصل الغداء له ، ولكني لا أضمن النتيجة .

ظهر في هذه اللحظة خادم في زي رسمي وهويدفع عربة ، ووقف كي يضع صينية أمام "جودي" ، ثم استمر في اتجاهه ناحية مكتب "هيلي" .

www.elromancia.com

نهضت "جودي" حسب الاتفاق ، وتبعته وهي تشير بيدها في اتجاه "سارة" ثم ظهرت بعد دقيقة وقد بدا عليها عدم الرضا .

– ليس في إمكاني أي شيء .

ويقترح السيد "هيلي" أن تكتبي خطاباً له تعرضين فيه الغرض من الزيارة .

– إنني آسفة لما سببته لك من إزعاج ، وأرجو أن تعذريني لاستغلالي لطفك والسماح لي بالانتظار دقيقتين ، وسأعرض مشكلتي في دقيقتين .

– لسوء الحظ أن لديه مدخلاً خاصاً يطل على البهو الآخر .

وبدا ضيق الصدر يظهر على "جودي" .

–حسناً ! في هذه الحالة أرجو أن تعلنيه بأنني أرملة "هومير الفاريدو" .

نظرت إليها "جودي" وهي مذهولة ، ثم قالت وقد احمر وجهها من الخجل والانفعال :

– نعم ... إذن الأمر كذلك ؟ إنني إحدى المعجبات جداً بزوجك ، وكنت دائماً أتابع بعثاته ، إنه سيترك فراغاً كبيراً عند الملايين .

–شكراً .

جلست "سارة" على مقعد ذي مساند ، وأغلقت عينيها ، وأحست بأنها منهكة ، وعلى وشك البكاء .

– إنني هنا كي أتحدث عن أعمال زوجي التي كنت فيها مساعدته .

والأمر يتعلق بموضوع سري للغاية .

– في هذه الحالة أعتقد أن أفضل شيء أن تنتظري حتى يناديني السيد "هيلي" لسبب أو آخر وهو ما سيفعله دون شك . وفي هذه اللحظة سأتحدث معه عنك .

غمغمت "سارة" وهي تبتسم ابتسامة ماكرة .

– رائع ! سأنتظر :

وتناولت صحيفة ، وحاولت التركيز فيما تقرؤه .

الفصل الثاني

نادى السيد "هيلي" سكرتيرته في الساعة الرابعة ، كي يطلب منها إحضار القهوة وبعض الفواكه والحلوى ، وانسحب كي يستريح بعض الوقت وهو يقول :

–أنبهك يا "جيري" ألا يترك أي شخص هذا المكتب قبل أن نضع أسس اتفاقنا على الورق .

هز رجل البنوك المسمى "جيري" رموش عينيه ، بينما نظر رجل البنوك الآخر نظرة شك :

– ألا ترى أن الوقت لم يحن بعد ؟

– إذا لم نصل حتى إلى ذلك ، فأعتقد أنه لا جدوى من الاستمرار في الموضوع .

دار "جوناثان" حول مكتبه ، ثم استند على حافته قائلا :

–هل سيذهب أحد لمشاهدة مباراة كرة القدم بين أيرلندا والولايات المتحدة غداً؟

لم يكن "جوناثان" متعمقاً في المسائل الدبلوماسية .

وبعد أن أخطر الطرف الآخر عن ضرورة إيجاد امتيازات استثمارية أخرى ، تحدث عن كرة القدم كي يلطف من الجو ، لأن الجميع كان مشدوداً .

عندما دخلت "جودي" ووضعت الصينية على المائدة ، ابتسم لها "جوناثان" ابتسامة حارة ، كان قد ندم على سوء معاملته لها من وقت قريب .

كانت "جودي" سكرتيرة كاملة ، ولكنها أحياناً ما كانت تبدو شديدة اللطف مع العملاء اللحوحين .

استغلت هذا التحسن الواضح في مزاجه ، فانحنت عليه هامسة:

– فيما يتعلق بالدكتورة "بايرز" .

شد "جوناثان" على فكيه ، ولكنها أكملت :

– إنها لا تزال هنا ، ويبدو أنها أرملة "هومير الفاريدو" كان "جوناثان" اجتماعياً إلى حد ما ، ولكن كانت هذه المرة الأولى التي تصر فيها أرملة عالم

www.elromancia.com

حاصل على جائزة "نوبل" على رؤيته . . لقد خصصت مؤسسة "هيلي" أموالا انتمانية لـ "هومير الفاريدو" في شهر مارس (آذار) الماضي .

فجأة فهم كل شيء ، لقدكان من الطبيعي أن تطلب أرملته لقاءه ، أحس بالارتباك عندما فكر في أنها تنتظره بمكتب "چودي" منذ وقت طويل ، بالإضافة إلى أنها قامت برحلة طويلة من جامعة "جورهام" إلى هذا المكان وهي رحلة – لا شك – متعبة لامرأة في مثل سنها .

لقد التقى منذ اثنتي عشرة سنة بالضبط بـ "هومير الفاريدو" ، وكان وقتها رئيساً لاتحاد الطلبة بجامعة "هارفارد" وكانت تصاحبه امرأة ذات شعر رمادي علاه الشيب .

كان يتخيلها تماما باحثة آثار رقيقة تخفي علامات التصميم والرزانة .

ولكن لماذا تقدم نفسها تحت اسم "سارة بايرز" وليس "السيدة الفاريدو" ؟

لا شك أنها أرادت أن تحتفظ بكبريائها ولا تستخدم اسم زوجها ، بل تنجح باسمها هي ! نظر إلى "چودي" وقال :

– أخبريها أنني سأحضر، واسأليها إن كانت ترغب في بعض الطعام .

وبعد أن شرح الوضع لزملائه ، لبس سترته، واتجه ناحية مكتب سكرتيرته ، وقد صمم على الانتهاء بأسرع وقت من تلك المهمة الشاقة ، وقف فجأة على عتبة الباب ، وألقى نظرة شملت المكان .

فيما عدا "چودي" لم يجد سوى سيدة واحدة تختلف تماما عن المرأة التي التقى بها في جامعة "ييل" .

لم تكن صغيرة وفي سن ابنة "الفاريدو" فحسب . وإنما أيضا كانت تشبه عارضات الأزياء – بزيها رفيع المستوى وزينتها المعتنى بها – وليست عالمة آثار.

تقدم ، وقد ضيق ما بين حاجبيه ، فلاحظ أن ثوبها كان متسعاً بعض الشيء، كما لو كانت قد فقدت بعض وزنها ، كما ظن أنها لابد قد أخفت شحوبها تحت زينتها كما بدت متعبة وحزينة للغاية .

وأذهله أيضاً أن تلك الفتاة رائعة الحسن بعينيها الداكنتين المؤثرتين ، وبشعرها

الأسمر المعقوص فى أعلى رأسها ، وقد أسقطت بعض الخصلات التي أحاطت بوجهها البيضاوي الكامل،كانت رقبتها طويلة ، وفمها ممتلئاً ، وأنفها مستقيماً بينما زاد تعبير الدهشة الخفيفة لنظرتها من سحرها الفتان،كانت فارعة الطول، وكان هو يحب السيدات الطويلات .

لم يكن لديه سوى تفسير واحد : لابد أنها الزوجة الثانية لـ "الفاريدو" ولابد أنها إحدى طالباته القديمات .

وهو ما يحدث دائماً .

مد يده إليها .

– تشرفنا يا دكتورة "بايرز" ... لقد حزنت لأنني جعلتك تنتظرين كثيراً .

والحقيقة أنني مررت بأسبوع مليء بالأعمال ، أتدرين أنني كنت من المعجبين بزوجك إعجاباً شديداً فكان لي شرف حضور أحد مؤتمراته ، وقدمت إليه عندما كنت طالباً .

لقد كان رجلاً ذكياً لامعاً ومحاضراً ساحراً .

– في الحقيقة ..

وظل كل منهما ينظر للآخر عدة ثوان في صمت :

– يا سيد "هيلي" إنني لا أجهل أنك مشغول جدا ، ولكنه .. هل أطمع في ساعة من وقتك .. ربما في هذا المساء ؟ ...

قطب "جوناثان" جبينه دون إرادته .

كان صوتها حلواً وخافتاً ، ومترددا بعض الشيء صوت نجمة سينمائية .

فأشار إلى الأريكة وهو يقول :

– أستطيع أن أمنحك بضع دقائق في الحال أرجو أن تجلسي .أتودين قدحا من القهوة ؟

رفضت القهوة ، واتجهت ناحية الأريكة .

جلسا جنباً إلى جنب وقد أدهشه عدم اكتراثها به لقد تعود على الاهتمام الحار الذي تبديه النساء نحوه .

لا شك أن ذكرى زوجها المؤلة جعلتها لا تحس بالوجود الرجولي له .

www.elromancia.com

ولكنه لم يكن على صواب في ظنه ، فلم يكن ذهنها مشغولاً بـ "هومير الفاريدو" لقد كانت دهشة من "چوناثان" بقدر دهشته منها،لم يكن يبدو عليه مظهر رجال البنوك أبداً،كان مظهره متماسكاً ورياضياً ، بشعره الأشقر الطويل إلى حد ما وعينيه شديدتي الزرقة .

ورغم ذلك كانت ثقته بنفسه ويسره الظاهر يعطيانه مظهر الرجل الجاد .

وعلى كل فإنه لا يهم إن كان يبدو كرجال البنوك أم لا ، بل كل ما يهمها هو أن يكون باستطاعته تقديم العون المالى لها .

وضعت حافظة أوراقها فوق ركبتيها ، وفتحتها بيدين مرتعدتين بعض الشيء ، ثم قدمت له خطاب " أولدهام " . قرأ "چوناثان" الخطاب ثم رده إليها ، كان يفهم تماماً قرار " أولدهام " الذي لم يتبع سوى تعليمات المؤسسة الداخلية .

ولكن ما ضايقه هو المبلغ الضئيل المخصص لـ "سارة بايرز" مقابل الملايين التي سحبت منها.قال لها بلطف :

– إنني شديد الأسف حقيقة ، ولكن "تيري" لم يفعل سوى واجبه ، ولابد أن تكون لديه أسباب وجيهة حتى يمكنه إعادة النظر في قراره .

– نعم دون شك . ولا أدعي أنه في الإمكان أن أحل محل "هومير" ولكنه بالفعل أتم الجزء المهم والصعب من المشروع بوصفه القاعدة الأساسية ، ولا يوجد سبب يدعو لعدم الاستمرار في المشروع بالضبط،كما لو كان مشرفاً عليه وأرجو أن تمنحني الوقت كي أشرح لك هذا الملف .

قدر "چوناثان" سلوكها المباشر،كانت غريزته الواعية قد أصبحت أسطورة في شارع المال "وول ستريت" وقد نبهته في هذه اللحظة أنه سيكسب الكثير لو استمع إلى تلك الشابة الصغيرة .

وعلى أية حال فإن شيئاً واحداً على الأقل كان مضموناً ، وهو رغبته الشديدة في معرفتها معرفة وثيقة .

سألها بفتور :

– حسناً ! كم يلزمك من وقت ؟

أحست "سارة" بانتصارها المفاجئ حتى أنها انتظرت عدة ثوان قبل أن

تجيب :

–حوالي الساعة وقد جهزت لك المستندات حتى تمكنك من أخذ فكرة عن الموضوع.

–اسمعي ! أقترح أن تتركيها لي كي أفحصها هذا المساء وغدا صباحا ، سنتناقش فيها ونحن نتناول طعام الفطور ؛ لأنه الوقت الوحيد غير المشغول فيه طوال النهار ...

– في أى فندق تقيمين ؟

في الحقيقة لم أقم بالحجز بعد ، لأنني لم أكن أعرف الوقت الذى سأستغرقه في مقابلتك وقد تصورت أنك غير مشغول الليلة .

– لسوء الحظ ، إنني مشغول !

وألقى نظرة على ساعته وأضاف :

– لدي اجتماع في الرابعة والربع وسيستغرق حوالي الساعتين ، بعده لدي دعوة على العشاء ولكن لماذا لا تصحبينني ؟ سأتناول العشاء عند ابن عمي ، ولن يعترض على وجود حسناء مثلك معي .

وعندما ترددت أضاف .

– وحيث إنك لم تختاري الفندق ، فأدعوك للإقامة عندي وسيأتي سائقي لاصطحابك ، وسأنضم اليك عندما أنتهي من مشاغلي ونتناقش عندئذ أثناء الطريق إلى "وستشستر"،وبالمناسبة يا دكتورة "بايرز" قد يهمك أن تعلمي أن "تيري أولدهام" من بين المدعوين ومضيفنا "روسيل هيلي"،فما رأيك إذن في ثلاثة من أعضاء مجلس الإدارة في وقت واحد ؟

من يدري .. فقد يمكنك تحقيق معجزات الليلة ! اضطربت وأحست بعدم الاستقرار أمام دعوة من شخص لا تكاد تعرفه .

أخذت تتلعثم وهي تقول :

– إذا كنت متأكداً من أن ذلك لن يضايقك ؟

– لا .. إطلاقاً ، فلدي ثلاث حجرات للزائرين والعديد من الخدم .

ابتسمت "سارة" وانفرجت أساريرها .

www.elromancia.com

وأخذت تفكر : "هذا رجل لا مثيل له ! وعلى أيه حال فلديه روح دعابة عالية " .
ثم قالت بصوت عال :
– حسناً موافقة !
نهض "جوناثان " في الحال ، ثم استدار إلى "چودي " .
– اطلبي "چورچ"،ومن المحتمل أن تجديه في السيارة،وأخبريه أن يمر ويأخذ الدكتورة "بايرز" ثم يعود لآخذي في الساعة السادسة.
بعد ذلك اطلبي "جوليا" كي تخبريها بالأمر ، وفي نفس الوقت اتصلي بزوجك لتخبريه أنك ستتأخرين بعض الوقت ؛ لأنني سأحتاج إليك لكتابة بعض الأوراق على الآلة الكاتبة .
سألته "چودي" وهي تتذمر :
– ما الوقت الذي نسميه " بعض الوقت " ؟ : ساعتان ؟
– وماذا تساوي ساعتان مع صديقة مثل هذه ؟ وعلى كل فأنا أشكرك بحرارة .
ردت عليه "چودي " ضاحكة :
– وماذا أفدت من الشكر ؟ في يوم من الأيام سيكلفك ذلك عدداً من تذاكر مباراة كرة القدم تشتري بها سكوت زوجي المسكين "چيفري" .
تنهد "جوناثان " وهو يقول أثناء عودته لمكتبه :
– يا للاستغلال !
ابتسمت "چودي " لـ "سارة " ، ورفعت سماعة التليفون.كان "جوناثان هيلي" يشترك مع "هومير الفاريدو" في كثير من الأمور.
وهذا ما فكرت فيه "سارة " ، إنه يعطي الأوامر وينتظر من الآخرين أن يتبعوها دون معارضة .
وكان "هيلي" يعتبر أن القليل من الأفراد يمكن أن يكونوا على قدم المساواة معه، مثله في ذلك مثل "هومير"ومع ذلك كان كل منهما يواجه المشاكل بطريقة مختلفة.
كان "هومير" دؤوباً ، بينما كان "هيلي" يستغل سحره ومركزه الاجتماعي .
وعلى أيه حال فالنتيجة واحدة ؛ كل منهما سريع التأثير .

مضى الوقت وهي تتصفح الجريدة دون تركيز ، إلى أن حضر السائق .
كانت سيارة "هيلي " ماركة "كاديلاك" فضية اللون تنتظر "سارة" أمام المبنى .
وكان السائق متوسط العمر يدعى "چورچ دياز " فتح باب السيارة الخلفي دون اهتمام ، ولكن عندما أخبرته "سارة " أنهاتفضل الركوب بجانبه ابتسم وأصبح سهل الحديث .
تحدثت "سارة " معه عن عملها في " المكسيك" حوالي ربع الساعة .
وعندما أشار إلى أنه تربى بالقرب من ميناء " فيراكروز " أخبرته أن عائلة المرحوم زوجها من نفس المكان.قالت له شارحة :
– "بايرز" هو اسمي وأنا شابة صغيرة ، ولكني كنت متزوجة من أحد أفراد عائلة .. "الفاريدو " .
ظهر التأثر على "چورچ " :
–كل الناس هناك يعرفون عائلة " الفاريدو" ..ابن من تزوجت ؟
ما إن ذكرت له اسم "هومير " حتى ألقى عليها نظرة دهشة وكانت قد تعودت على رد الفعل هذا .
كان "هومير الفاريدو " ابنا لأستاذة أدب أمريكية ، ورجل اقتصاد مكسيكي قضى معظم حياته في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه فضل أن يحتفظ بالجنسية المكسيكية وأصبح من شخصيات أمريكا اللاتينيةالمرموقة .
كان "هيلي " يعيش في أحد المنازل المكونة من أربعة طوابق من الحجر المنحوت في شرق حي "الستين" وكانت "جوليا دياز " امرأة حسناء بدينة بعض الشيء .
كانت تنتظر أمام المدخل كي تستقبلها .
بعد تقديم سريع باللغة الإسبانية تخللتها كلمتا "هومير " و" الفاريدو " استدار "چورچ " عائداً إلى السيارة .
بينما "چوليا " تقدمت "سارة " إلى حجرتها في الطابق الثالث عن طريق المصعد الداخلي قالت "چوليا " :
– لقد كان زوجك رجلاً عظيماً ولقد أسعدنا أن نستقبلك .
شكرتها "سارة " ، وتبعتها داخل الحجرة الرائعة المغطاة بالسجاد المخطط

www.elromancia.com

باللونين الأبيض والذهبي ، والمؤثثة بأثاث فرنسي على الطراز الإمبراطوري .
عندما أبدت رغبتها في الذهاب لشراء بعض الأشياء من محلات "بلومينجدال" وشراء بعض الملابس ، أخبرتها "جوليا" بلهجة لاتقبل المناقشة :
– سأصحبك فقد بدأ الليل يهبط ، ولا أحب أن تتجولي في ظلام الليل بمفردك.
لم تعترض "سارة" وكانت في قرارة نفسها سعيدة بمصاحبتها وقد أراحها أن تذهب لشراء بعض الملابس وأن تتحدث معها ، عادتا حوالي السابعة والنصف.
كانت "سارة" قد اقتنصت الفرصة لتشاهد المحلات التي وجدتها متمشية مع ذوقها وطلبها .
وكان تأثيث المنزل متميزاً بخليط من القديم والحديث،كانت المقاعد والأسرّة قد اختيرت لمتانتها ، وما توفره من راحة ، وطرازها يميل إلى الحداثة ، بينما كانت اللوحات والمناضد على العكس ، قد اشتريت دون شك من محلات التحف" .
وكان السقف منخفضاً بعض الشيء ، والسجاد "عجميا" بينما كانت الستائر موشاة بالورود والأرضية مغطاة "بالباركيه" اللامع ، وكان الديكور يعطي إيحاءً بالدفء والخيال .
باختصار أحست "سارة" بالراحة لدى "جوناثان هيلي" .
جلست فوق أريكة بحجرة المعيشة ، وأحست بالسعادة لو قضت الأمسية في ذلك المكان ، وهي تقرأ بالقرب من المدفأة .
لقد صدقَتْ صديقتها "چيل فيرجسون" عندما قالت إنها ليست في حالة تسمح لها بالمعارك .
عندما دخل "هيلي" ابتسم .
وكانت قد خلعت خفيها ، ومددت ساقيها على الأريكة وهي تقرأ كتاباً وتتناول قدحاً من الشوكولاتة ، وقد ظهر عليها الرضا التام .
قالت له .
– إن لديك منزلاً فخماً ثم أضافت وهي مترددة :

– هل أنت متأكد من رغبتك في الخروج ؟ إن التعب باد عليك .
– سنذهب عقب تناولنا شراباً منعشاً .
لقد تحدثت تليفونياً مع "روسيل" لأخبره أننا سنتأخر ، وكل الناس سيسعدهم استقبالك .
فأطاعته ووضعت الكتاب جانباً .
– في الحقيقة .. أريد أن آخذ حماماً منعشاً . نظر إلى الكتاب نظرة سريعة وقال:
– هذه الرواية تصيب المرء بالملل وأنا – حقيقة – لا أفهم كيف حققت مبيعات هائلة . ؟
عاكسته "سارة" قائلة :
–لأن هناك أشخاصاً مثلك اشتروها .
ثم استأنفت القراءة !

www.elromancia.com

الفصل الثالث

كان "روسيل هيلي" يعيش على جانب حي "سكار سويل" على بعد حوالي نصف الساعة شمال "مانهاتن".

وبعد أن سألت "سارة" علمت أنه في السادسة والثلاثين من عمره، وكان بحاراً متمرساً على الحرب، وقد سببت له طريقة حياته الكثير من التأنيب من قبل عائلته المحافظة.

وكان رئيس مجلس إدارة مبنى مجمع "هيلي" للاستجمام الدولي الذي يمثل سلسلة من الفنادق من الدرجة الأولى.

وكان على وشك افتتاح فندق "لوبيجو"، آخر فندق في السلسلة المقام فوق جزيرة على عرض خليج "يوكاتان"، وهو المكان القريب من الأماكن التي كانت "سارة" تنوي اكتشافها.

ما إن استقرت "سارة" بجانب "جوناثان" في السيارة "الكاديلاك"، وفي عزلة تامة عن السائق، حتى أخرج "جوناثان" مفكرة مذكرات من جيبه وبدأ يملأ صفحات كثيرة منها بعد أن اعتذر لـ "سارة"، ثم أغلقها وأسند ظهره إلى مسند المقعد، وقد أغلق عينيه وظهر عليه الإرهاق الشديد.

وعندما فتح عينيه استدار إلى "سارة" وابتسم، كان من الواضح أنه ينتظر منها، أن تعرض قضيتها التي من أجلها انتقلت من موطنها.

ولكن شعوراً بالرهبة والخشية أصابها فجأة، فظلت صامتة وهي تحاول جاهدة أن تجمع أفكارها.

بدا جلدها وكأنه شفاف تحت ضوء المساء، الذي كان يشع ضوءا خافتاً إلى داخل السيارة، وكانت تحس نوعا من اليأس الهادئ للغاية، وعدم أمان مسيطرا خضعت له مما أثر على "جوناثان" تأثيراً عميقاً.

حلم لحظة أنه يداعب شعرها ويلامس وجهها وشفتيها الممتلئتين، وتخيل أنها استجابت للمساته.

ولكنه في الحقيقة لم يتحرك ، وكثيراً ما يفكر المرء في تلك الأشياء ولكنه لا يفعلها .

بدأ الحديث كي يساعدها :

– إن مبالغ الائتمان التي خصصت لـ "هومير" كانت لأسباب سياسية كبيرة .

وهي تتيح الفرصة لدعم إحدى دول العالم الثالث ، والتحالف مع شخصية مرموقة عالميا، وبمعنى آخر فإن الاعتبارات العلمية مكانها ضئيل في قرارنا ، وأعتقد أن المشاكل التي تواجهينها إنّما تأتي من ذلك المنطلق .

–أود – أولاً – أن أتحدث معك عن مصدر مياه دافئ في "فلوريدا" إنه يسمى " ينابيع المياه المعدنية الدافئة " وتستمد مصدرها من قلب مدرج عمقه مائتان وخمسون متراً ، ومستدير استدارة كاملة ، وهو بئر عملاقة .. باختصار كان "جوناثان" ، قد ذهب إلى الآبار المعدنية في العام الماضي ، ولكنه لم يحاول أن يقاطعها حتى لا تضطرب .

– وقد بدأت القصة بغطاس أعماق يسمى " وليام رويال " وكان القوم حول الينابيع الدافئة يستخدمونها كمصدر للعلاج الطبيعي ، ولكن "رويال" قرر أن يذهب إلى أبعد ما يمكنه حتى يفحصها عن قرب .

اكتشف شقاً في الأرض وحائطاً رأسياً ونزل داخل الشق حوالي ثلاثين مترا إلى مكان يشبه الكهف اكتشف بداخله رواسب كلسية ، واستنبط " رويال " النتائج التي ... ونظرت "سارة" إلى "هيلي" وانتظرت ، كان مسلكه يدل على أنه أستاذ ، وإن لم يرد أن يفصح عن ذلك .. قال :

– ولما كانت الرواسب الكلسية لا تتكون إلا فوق الأرض الثابتة فإن المنطقة لابد أنها كانت – يوماً ما – مكشوفة للهواء الطلق .أليس كذلك ؟

– "بالضبط" .. وكوّن "رويال" بعثة ثانية مع أحدعلماء الطبيعة اسمه " إيجين كلارك " هبط الأعضاء إلى الأعماق واكتشفوا عينات عليهابصمات حيوانات ونباتات أرضية ، وعظام بشرية أيضا .

وقاموا بفحص العينات بالكربون والكوارتز ، فاكتشفوا أنها ترجع إلى حوالي عشرين ألف سنة .

اقتنع "رويال" بأنه اكتشف " جبّانة " ولسوء الحظ كان أحد خبراء الآثار المطرود من جامعة " فلوريدا" غير متفائل من قيمة الاكتشاف .

فقد كان من ناحيته حسوداً لاشتراك هواة في هذه البعثة الاستكشافية وهو ما قلل من قيمته ، ومن ناحية أخرى كان يشك في أن العظام قد نقلت بواسطة مستغلي الينابيع المعدنية الدافئة كنوع من الدعاية .

استغلت محطة تليفزيون " إن . بي. سي " الموضوع ، وأرسلت مصوريها كي يغطسوا برفقة " رويال " .

فحص "رويال" قاعدة القبر الذي اكتشفه ، حيث عثر على هيكل عظمي آدمي، وعرضه أمام الكاميرا .. انتظرت المحطة وهي غير متفائلة نتيجة فحص الهيكل بالكربون والكوارتز .

كانت الجمجمة لا تزال تحتفظ بآثار المخ البشري من العصر الحالي .

أعلن الجيولوجي "سكريب" أن شريحة اللحد ترجع إلى عشرين ألف سنة ، وكذلك الهيكل العظمي .

ولكن التقرير كان متناقضاً للغاية ، ورفضته الأوساط العلمية تماماً .

تطلّب الأمر من "رويال" اثنتي عشرة سنة حتى تم الاعتراف باكتشافه ، وبعد هذا الاكتشاف تبين عدم وجود أكسجين على مسافة ستة أمتار أسفله ، وبالتالي لا توجد جراثيم حية يمكن أن تحلل الأعضاء الحيوية ومن هنا جاء التفسير لعدم تحلل المخ .

بدأ حماس "جوناثان" ينتعش وقال في تهكم :

– والآن ما الدرس المستفاد من هذه القصة ؟

احمر وجهها خجلاً ، فقال :

– أتريدين أن أكمل القصة بدلا منك يا "سارة" ؟

إنك تظنين أنه كانت هناك حضارة متقدمة فيما قبل التاريخ ، وتبادل تجاري على ساحل المكسيك وغزت كل المنطقة ، ثم اختفت فجأة بطريقة غامضة .

– بالضبط !

www.elromancia.com

– حسناً ! لم يبق أمامك سوى إقناعي .

نظرت إليه نظرة متوجسة ، وقالت :

–حسناً ! منذ ست سنوات كان " هومير " يعمل في إصلاح حوض سفينة إسبانية في عرض خليج "يوكاتان " ، واكتشف عدة قطع من الفخار بالقرب من الموقع ، وكان الإسبان يبحرون في عصر النهضة في مراكب تتبع ذلك الطريق حاملين بضائع في أوان فخارية ولكن الفخار الذي اكتشفه لم يكن من نفس الطراز المعروف .

كان "هومير " مهتما بصفة خاصة بالمدن المدفونة،سواء عن طريق تحرك الأرض أو بسبب الثورات البركانية .. والاكتشاف الذي حظي بأكبر اهتمامات "هومير" لم يكن مدينة ، ولكن الحائط المغروش في قاع البحر بعرض جزيرة "أحجار اليشم " شمال "يوكاتان" .

وكان الجزء الأكبر من الحائط موازياً للشاطئ ، بينما اتجه الجزء الباقي ناحية الأرض وكان مكوناً من كتل من الجرانيت شديدة الصلابة .

وبعد فترة ، اكتشفنا في جزيرة " اليشم" بجوار بقايا قبائل "المايا " – حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد – بعض الأدوات المصنوعة من البرونز : بلطة وطبقاً ، ومعولاً ، رغم أنه لا يوجد هناك أية مناجم في "يوكاتان" .

وعلى أية حال ، فقد كانت قبائل " المايا " تصنع قائمة من الأشياء الغريبة التي عثر عليها في تلك المنطقة ، مثل الخف المصنوع من جلد " الأيل" في أماكن لا يوجد فيها ذلك الحيوان ، وريش طيور تعيش في أماكن بعيدة جداً عن المكسيك.

– هل تعتقدين أن هناك حضارة غير معروفة لنا هي أصل كل ذلك ؟

– نعم ، ونظن أيضاً أنها خرجت من حضارة " أولمك" التي ازدهرت ما بين عامي ثمانمائة وستمائة قبل الميلاد،فقد كان أهل تلك الحضارة قادرين على نقل كتل الحجارة ، التي تبلغ كل منها خمسين طناً مسافة عشرة كيلو مترات إلى داخل الغابة ، وكانو متقدمين تقدماً مذهلاً في علم الفلك ، والحساب ، ومع ذلك اختفوا .

وعلى ما يبدو فقد كان "المايا " غير قادرين على البناء خارج مواقعهم .

وعلى أية حال فإن أكثر الجهات قرباً من الأبحاث هو الطريق الطويل الذي وجدنا عليه الجرار الفخارية .

– لقد فهمت تماماً ولكن اكتشاف سفينة ترجع إلى تلك الحضارة يوجب علينا فحص العينات .

فما ترتيباتك لجمع تلك العينات وترميمها ؟

فكرت "سارة" إنه على حق تماما ، وقد بدا أنه قد فهم كل شيء من أول مرة .

– توجد طرق ترميم متقدمة جداً ، ولكنها تكلف كثيراً .

وقد ظننا أن المؤسسة قد حلت تلك المشكلة الصغيرة أمامنا .

وجه "جوناثان " نظرة ساخرة وقال :

– أرجو المعذرة ، ولكن المادة التي تصفينها غير موجودة ، وستقوم أشعة "جاما " بكشف أساس تلك الجدران ، ولكنها لن تكشف ما بداخلها .

أما بالنسبة لأجهزة الترميم فإن الصور التي ستحصلين عليها لن تجعلك تفرقين ما بين المدفع "وكاب "الجندي ويبقى جهاز " المغناطيس " لالتقاط الحديد .

هل تفهمين ماذا أعني ؟

قالت "سارة" في نفسها : بالضبط :

إنه مثل البحث عن إبرة وسط كومة من القش إن هذا الرجل الشيطان من الصعب خداعه ، وهو يلقي العديد من الأسئلة ، والآن كيف يمكنها أن تخرج من هذا المأزق ؟ "

قالت أخيرا :

– " يمكننا أن نستخدم جهاز " الهليوجراف المائي " وهو يستخدم أشعة الليزر ويقلب الترددات إلى موجات قصيرة وينقل الصورة على شاشة عرض .

والصور التي تظهر ثلاثية الأبعاد هي في الحقيقة ثنائية الأبعاد .

وهذا النظام –وإن كان يحدد بوضوح السطح المطلوب اكتشافه– إلا أنه لا يحقق نتائج إيجابية مع العينات .

والآن يا "سارة" ... أريد منك الحقيقة .

– أتعرف أنك متعب ؟

– إنهم يقولون ذلك لي دوماً .

استدارت "سارة" بعيداً عنه لحظة وأحست بأنها وقعت في المصيدة ، ولا تدري كيف تخرج منها .

كان من الواضح أن "هيلي" لن يؤيدها إذا لم تتمكن من إقناعه .

ومن أجل ذلك لابد لها أن تكسب ثقته. استأنفت الحديث :

– إن النظام الذي نستخدمه يعمل بنظام "الهيليوجراف الصوتي" ولكنه يستخدم أشعة "إكس" وليس الترددات الصوتية،ويستطيع أن يفتش حتى عشرة أمتار من الداخل .

كان لـ"هومير" أصدقاء في وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" ولا أستطيع حقيقة أن أدخل في التفاصيل وما كشفته لك يعد سراً .

أطلق "جوناثان" تنهيدة إعجاب :

– وهل سيقرضونك الأدوات رغم وفاة زوجك ؟

غمغمت "سارة" :

– إن البحرية تحب أن تجري تجاربها على نطاق واسع .

– ويمكنهم القيام بهذة التجارب الضخمة رغم ذلك .

– دون شك .

فكر "جوناثان" بسرعة :

– لم تخبريني عن المكان الذي عثرت فيه على الجرار الفخارية ؟ وعلى بعد كم من الكيلو مترات بالضبط من "يوكاتان" ؟

– سأتركك تخمن يا "جوناثان" ..

لم يكن ذلك صعباً ، فإن أقصى حدود "يوكاتان" يقع على بعد مائة كيلو متر بالضبط من "كوبا" .

الفصل الرابع

كان رذاذ المطر يتساقط خفيفا عندما وقف "جورج دياز" بالسيارة "الكاديلاك" أمام منزل "روسيل هيلي" .

وأنزل السائق الزجاج العازل بينه وبين المقعد الخلفي ، وقدم له مظلة مطر .

طلب منه "جوناثان" أن يعود حوالي الحادية عشرة ، وخرج من السيارة ، ثم بسط المظلة على باب السيارة حتى تمكنت "سارة" من النزول .

وضع ذراعه على كتفيها كي يقربها منه ، وحتى لا تبتل ، ثم تركها عندما وصلا إلى المدخل الرئيسي ذي المظلة التي تحملها أربعة أعمدة .

وقبل أن يدق الجرس التفت إليها وقال :

– اسمعي ! إنني لا أستطيع أن أتخذ قراراً فيما يتعلق بمشروعك قبل أن أدرسه دراسة كاملة .

ولكن مهما كان موضوع تعاوننا ، فإنني أفضل أن أقدمك على أنك صديقة قديمة .

ويمكنني أن أقول :

"إنني التقيت بك وبـ "هومير" منذ عدة سنوات في "بور تسموث" عندما كنت أعقد مؤتمراً حول الدراسات العليا، وافقته "سارة" وحمدت له حسن تصرفه .

وباستخدامه هذه الاستراتيجية ، وضعها في موقف أكثر راحة بالنسبة لمضيفيه.

كان "روسيل هيلي" هو الذي فتح لهما الباب .

استقبل "جوناثان" بابتسامة واسعة وهو يربت على ظهره ، ثم استقبل "سارة" بلطف وهو يثني على عملها ، وكان من الواضح أن ابني العم كانا متفاهمين تفاهماً رائعاً .

أحست "سارة" بالأمان وهي محاطة بهذين السيدين من الطبقة المهذبة .

وعندما قدمها "جوناثان" على أنها صديقة قديمة إلى المدعوين ، أحست بأنه

www.elromancia.com

لم يعد الحقيقة .

ودار الحديث على العشاء حول الأحداث الثقافية الجارية وعن المجتمع .

لم تقل " سارة " كلاما كثيرا .

كان واضحاً أن اثنتين من الحاضرات كانتامن نساء "چوناثان " السابقات .

كانت إحداهما قد عادت لتوها من شهر العسل الذي قضته في فرنسا وأخذت تعاكس "چوناثان " وهي تقول له:إنه أضاع فرصة حياته بعدم الزواج منها والثانية كانت مقدمة برامج بالتليفزيون ، وبدا أنها لم تيئس من مطاردته وكانت تغازله مغازلة مكشوفة .

كانت "لوسي" زوجة " روسيل " امرأة فاتنة وطائشة ، وبدا واضحاً أن قراءاتها وثقافتها لم تتعد المجلات النسائية .

كانت تلمح ساخرة إلى حياة "چوناثان " الاجتماعية ، وأنها ترى صوره في جميع حفلات الاستقبال في نيويورك .

أما بالنسبة لـ "تيرانس أولدهام " فلم يهتز له طرف عندما رأى "سارة " وهي تدخل ، وإن بدا لطيفاً للغاية .

وفي لحظة معينة انتهزت "سارة" الفرصة لتقول له :

– لقد كنت أقضي العطلة وحضرت هنا كي أتناقش مع "چوناثان".

وجه "أولدهام " إليها ابتسامة مؤدبة .

– لا أشك في ذلك، وإذا كنت تريدين التحدث عن دعم المؤسسة فأعتقد أنني ساكون الثاني في قائمتك .

ردت " سارة " ابتسامته :

– تماما ، وأرجو أن تمنحني دقيقة بعد العشاء ! سارع "أولدهام"بالقبول .

بدأ الجميع يسألون "سارة " عن حطام السفن .

كان الحاضرون يتوقعون أن يسمعوا أحاديث وحكايات على شاكلة " مغامرات السهم المفقود" و" المعبد الملعون " .

ورغم أن "هومير" لم يكن يشبه " أنديانا چونز" بطل حلقات وأفلام رعاة البقر.

إلاأنه كان – في نفس الوقت – مشتركاً في المغامرات عندما بدأت " سارة " تتحدث عن اكتشافه الأخير وكانت تتوسع أحيانا في بعض الحكايات ، وقد أحس الجميع بالرضا التام .

استطاعت بعد لأي أن تكمل عشاءها وتركت الحديث لزملائها .

لم تبد محادثتها مع "أولدهام " ذات فائدة كبيرة كان قد فهم تماما السبب الذي من أجله حضرت إلي "نيويورك" وأخذ ينتظر توالي الأحداث ، دون أن يرغب في أن يعتدي على سلطات "چوناثان " .

بعد أن تقدم الليل بعض الشيء ، انضم "روسيل " إليها فوق الأريكة بغرفة الاستقبال وتناقشا حول مدرسة لتعليم الغطس كانت لديه نية لافتتاحها بجوار فندق جزيرة "النمر " ، وأخذ "روسيل " يسهب في شرح المشروع .

كان عضواً بارزا في فريق التزحلق على الماء وزوجاً طيباً وأباً صالحاً كما كان بحارا شهيرا حصل على جوائز سباقات عدة وكان أيضا مقاولاً ناجحا ، ورغم ذلك كان يشبه فتى مدللا لا يشعر بأية مسؤولية ، ولا يأخذ الأمور مأخذ الجد .

وباختصار كان قمة في الجاذبية .

تذكرت أنها قرأت مقالاً حول جزيرة "النمر" في مجلة " نيويورك ماجزين " ، وقد عرض المقال كيف حقق "روسيل " تجارة مزدهرة من الصناعات اليدوية للسكان المحليين . سألته :

–كيف بدأ كل ذلك ؟

– في جزر "فيجي " كانت مؤسستنا قد اضطرت للاستغناء عن عدد كبير من العاملين ، وكانت أحوالنا تبدو وكأنها لن تكفي لتعويض خسائرنا .

وفي نفس الوقت أردنا أن ننشر بعض الدعاية عنا ، ولذلك قررنا إحياء الصناعات اليدوية في جانب من أعمالنا ، أدى النجاح الذي حققناه إلى تنفيذ الفكرة في خمس مشروعات كانت مهددة بالإفلاس في جهات متفرقة من العالم.

طرأت لـ" سارة" فكرة أثناء حديثه :

– أتدري أننا سنتخذ من "جزيرة النمر " قاعدة عظيمة لنا ، وسنقيم فيها جهاز الإرسال والمعمل ومبنى من الحديد كمخزن لبعض متعلقاتنا .

www.elromancia.com

ولن نزعجكم كثيراً ، وسنسلي – في نفس الوقت – النزلاء وهم يشاهدوننا ونحن نعمل .

– دون شك .

كان "روسيل" مسرورا ، وغير مسرور في آن واحد .

– لسوء الحظ أننا بعنا الجزيرة التي كانت أخر جنة لنا على الأرض .. أسيء استخدامها .. لقد بني الفندق بطريقة تبدو فيه كل كابينة وكأنها بيت صغير منعزل عن الجزيرة ولها شاطئ خاص،ومن ناحية أخرى يمكنك أن تطلبي كل ما تريدينه بالتليفون ، في حين كانت مكاتب الخدمات العامة والمحلات والمطاعم مفتوحة طوال الأربع والعشرين ساعة .

وإذا لم ترغبي في رؤية أحد فإن ذلك أمر متاح ، لكن أبراج الإذاعة وبعض الصناعات قد تعترض الطريق للأسف .

وجدت "سارة" تفكيره غريباً ، ولم تر مانعا من إقامة الصناعات اليدوية المحلية ومدرسة للغطس وقد تدعوه إلى إنشاء حمام سباحة ثان .

بدأت تحس بالتعب تدريجياً كانت تعليقاته حول قاعدة الغطس لا تثير حماسها وغرقت في تفكير ومجاملة عقيم بينما علت وجهها ابتسامة هائمة .

كانت الأمسية طويلة ، وكان خطاب "أولدهام" قد حرمها النوم عدة ليال .

كانت مجهدة للغاية،عند الساعة الحادية عشرة كانت على وشك الانهيار .

قال لها "چوناثان" وهو يساعدها على دخول السيارة :

– كان من الأفضل أن أطلب من "چورج" الحضور في العاشرة والنصف .

لقد ظننت أنك ستستلقين فوق الأريكة من التعب .

– إنني حزينة .

– أوه ! لا يوجد مبرر لذلك فأنا أحب "روسيل" كثيراً ولكن صديقات "لوسي" أتعبنني كثيراً .

– أوه .. لا تحدثني عنهن .. وعندما اختفيت مع تلك الوريثة ذات الصوت الحاد، عدت بعد ذلك وشعرك متناثر ورباط عنقك محلول .

أغرق "چوناثان" في الضحك .

– ما هذا التعليق السيئ؟

كان مسروراً لأنها تمازحه .

كانت في بداية السهرة متحفظة بعض الشيء ، ولكن بعد قدح أو قدحين من الشراب أصبحت أكثر الموجودات جاذبية .

ومما رآه استطاع أن يعرف أنها من النوع الذي لا يحافظ على مظهره المستكين مدة طويلة ، سواء في عملها أو في علاقاتها .

كان الجو طيباً داخل السيارة .

عندما تثاءبت "سارة" ، وفكت أزرار معطفها ، أطفأ "چوناثان" أنوار السيارة، وبعدها صار تنفس الشابة منتظماً وهادئاً .

وعندما سقط رأسها إلى الأمام استيقظت في كسل وبحثت عن مكان أكثر راحة لتسند إليه رأسها وهي تغمغم بكلمات غير مفهومة .

نادى "چوناثان" اسمها برقة ، ولكنها لم ترد عليه وأخيراً جذبها بجانبه ، وأسند رأسها على كتفه التصقت به في الحال دون أن تستيقظ .

كان يحب الإحساس بمرونة جسدها وثقله على جسده .

بدأت أحاسيسه تستيقظ ، وخياله يلتهب فجأة ولكنه شعر بالخجل من أفكاره عندما تذكر أنها جاءت تطلب معونته كصديق ، ويجب ألا يستغل ثقتها فيه .

كان من المعتاد أن يخرج كثيرا من أجل أعماله ، ولكنه لم يتعود السهر طويلاً إلا في أمسيات قليلة .

ومن جهة أخرى منذ زواجه لم يقم سوى علاقات عابرة مع النساء .

وعلى عكس ما كانت تشيعه "لوسي" المجنونة وتستغل المقالات الكاذبة التي كانت تكتب عنه ، فلم يكن فتى لعوباً .

ولم يكن هو ولا هؤلاء النساء يؤمنون بالعلاقة الجادة ولكن العواطف التي أثارتها "سارة" كانت من نوع آخر .

عندما داعب "چوناثان" خدها بإصبعه ، كانت الشابة – التي سبحت في البحر "الكاريبي" – قد ظنت أن من يداعبها سمكة ممن تعودت عليها .

ثم استيقظت،لم تكن الحرارة التي تحيط بها وتطمئنها حرارة البحر ، وإنما

www.elromancia.com

حرارة "جوناثان" .. همس برقة :

– لقد أوشكنا أن نصل .

رفعت رأسها بصعوبة وكان فمها قريباً من فمه ، حتى إنها أحست بأنفاسه اللاهثة على وجهها .

كانت أنفاسه حلوة ولدنة .

نظرت إليه وكلها دهشة وتساءلت كيف استسلمت للتعب حتى وجدت نفسها بين ذراعيه ؟

نادى اسمها بصوت مبحوح وحلو ، جعلها ترتعد ، بينما وضع ذراعيه حول كتفيها وهو يضمها إليه برقة كان قلبها ينبض بشدة :

هل كان ذلك من الإثارة أم من القلق ؟ لم تستطع أن تحدد ، وفجأة وقفت السيارة ، فاصطدمت جبهتها بفك " جوناثان " .

اضطربت تماماً ، وأخذت تتلعثم ، وهي تعتذر بصوت يشوبه النعاس .

ولدت تلقائيتها وجمالها لدى " جوناثان " عاصفة فجائية من الرغبة .

وبلغ به الشوق لتقبيلها حتى تقطعت أنفاسه ، وكأنه منوم مغناطيسيا بواسطة فمها ، وانحنى ، ولكنه أفاق إلى نفسه في آخر لحظة .

همس لها بصوت ساخر :

– يا صغيرتي المسكينة ، إنني أشفق عليك لقد تحدثت إحدى الصحفيات في الأسبوع الماضي عن فكي المنحوتين من الجرانيت .

ابتسمت وقالت :

– لا تقلق إذا كان فكك من الجرانيت فإن جبهتي مصنوعة من حجر الصوان .

والحقيقة أني قد تلقيت عقابي على فرض نفسي عليك دون خجل ، وإنني أشعر فعلاً بالعار .

– إن ما تقولينه لم يحدث بتلك الصورة .

لقد كنت تتمايلين بدرجة كبيرة ، وقد وجدت نفسي أعيرك كتفي لا إرادياً ، وقد استغللت ذلك بعض الشيء .

لم يسر ذلك " سارة " ، رغم أنها اعتبرت ما فعله نوعا من الألفة والصداقة .

وكان بالنسبة لها يمثل نموذجاً للرجل المهذب المستعد لتقديم العون لأرملة تعاني

المشاكل ، وهذا كرم منه .

عندما وقفت السيارة ، تثاءبت "سارة" ، وأبعدت نفسها عنه وهي تقول :

–شكراً لك على إعارتي كتفك .

– العفو ، وأنا في الخدمة ومستعد دوماً لتقديمها لك .

– يا للمسكين "جوناثان" ، لقد كتب عليك أن تكون في ضيق دوماً ، لأن لديك نساء طوال الوقت ينمن على كتفك ويصطدمن بفكك الجرانيتي .

ضحك وهز رأسه :

– ربما كنت أضايقهن ! وسأتلقى دروسا كي أستخدم ذكائي وإمكاناتي في إغواء النساء .

فتح باب السيارة ، فاندفع الهواء البارد داخلها .

نزلت " سارة " من الباب المجاور لها ، وأمسك "جوناثان" بذراعها كي يوجهها ناحية المنزل .

وعندما أصبحا في البهو ، سألها إن كانت تريد أي شيء أثناء الليل .

وعندما أجابته بالنفي ، طلب المصعد الداخلي ثم قال لها :

– اذا أعطيتني ملفك ، فسأحاول أن أدرسه من الآن حتى غد صباحاً وأقدم لك الرد في أقرب وقت ممكن .

ذكرت هذه العبارة في الحال "سارة" بأنه ليس من بين أصدقائها ، وإنما هو الرئيس الشرفي لمؤسسة " هيلي " الرجل الذي يمسك بمستقبلها بين يديه .

أحست مرة ثانية بالقلق والحيرة عندما دخل معها إلى حجرتها .

وعندما خرج والملف في يده ، تمنى لها ليلة سعيدة .

حجبت " سارة " بصعوبة ابتسامة ملتوية بالمرارة ، وهي تتذكر عبارة " ليلة سعيدة " .

يبدو أنه ليس لديه فكرة عن القلق الذي تعيش فيه ، ولكنها أجابت تحيته بطريقة طبيعية للغاية :

– شكرا للعشاء يا "جوناثان" ، وأتمنى لك نوماً هادئاً .

اختفى بعد ثانيتين ، وأخذت تمعن النظر في الباب لمدة دقيقة ، ثم وضعت جبهتها على زجاج النافذة وهي تفكر ...

www.elromancia.com

الفصل الخامس

كانت الساعة قد بلغت التاسعة ، عندما أدار "جوناثان" آخر صفحة من الملف الخاص بـ"سارة". كان قد نام في حوالي منتصف الليل وأيقظه جرس المنبه في الساعة السادسة صباحاً .

وبعد عدة اتصالات تليفونية عثر على الأرقام التي كان يريد الاتصال بها .

كان أول شخص اتصل به هو أحد علماء علم الإنسان "بتكساس" ، والثاني أحد علماء الآثار "بباريس" .

ولحسن الحظ كان الاثنان موجودين ووافقا على الحديث معه .

وأكد الاثنان ما كان يعتقده "جوناثان" .

من الناحية العلمية البحتة ، كان "أولدهام" على حق في إلغاء الدعم ،إذ لو اتضح في النهاية أن الحضارة المجهولة حضارة خيالية ، لما استطاع "جوناثان" أن يفكر فيما يمكن أن تقوله وسائل الإعلام من أن "الفاريدو" لم يكن موجوداً حتى يأخذ حذره قبل الإقدام على هذه المغامرة .فقد تصبح المؤسسة موضع النقد الشديد والسخرية .

عندما دخلت "سارة" المطبخ بعد ساعة كان "جوناثان" جالساً أمام المائدة الكبرى المصنوعة من خشب البلوط ، يتناول القهوة وقد بدا عليه التفكير .. رفع رأسه .

كانت "سارة" ترتدي بنطلوناً من "الجينز" الأسود فوق لباس بحر من القطن الأبيض ، وارتدت بلوزة واسعة مفتوحة بها خطوط بيضاء وزرقاء وكانت – في زيها هذا – مثالاً للنضارة .

كانت قد نامت في الساعة الثانية ، واستيقظت في الخامسة ، وقررت النزول إلى المطبخ كي تعد لنفسها قدحاً من الشكولاتة وقطعة من الفطير .

وكان العدد الخاص لمجلة الـ "تايمز" على المائدة ، فوضعته فوق الصينية التي ستأخذها معها إلى حجرتها ثم عادت إلى النوم ثانية في الساعة السابعة صباحا .

حاولت "سارة" أن تتحكم في أعصابها وهي تتناول قدحاً من "البوفيه" ، وتصب لنفسها القهوة بهدوء ، قبل أن تواجه اتهام "جوناثان" سألته بلهجة مرحة وهي تجلس قبالته :

-حسناً ! هل قررت تمويل المشروع ؟

- نعم ولا ! ليس في إمكاننا إعادة المخصصات السابقة ، ولكن يوجد حل وسط.. وعلى أية حال سأساعدك .

خفضت "سارة" عينيها حتى لا تظهر خيبة أملها .

ثم قالت بصوت مجرد من التعبير :

-أنتظر منك تحليلاً أكثر تفصيلا .

- سأوضح لك وجهة نظري .

وضع "جوناثان" قدحه ونهض . وتطلب الأمر من "سارة" بعض الوقت كي تفهم لماذا يبدو في قمة تقمصه لوظيفته .كان ذهنه يعمل بسرعة أشعة الليزر .وكانت أسئلته معدة جيدة ، وانتهى بها الأمر إلى أن سألته عمن كان يتحدث معهم .. ولكنه رفض أن يصرح بمصدر معلوماته .

وبدلا من أن تسلك "سارة" مسلكا سليماً - مثلها في ذلك مثل "جوناثان" - أحست باعتلال مزاجها وبدأت تكره محدثها .

ومع ذلك لم تكن تعرف النقطة التي أصبح من الصعب بسببها رفض مشروعها .

قدم "جوناثان" أخيرا الملف وهو يبتسم قائلاً :

- هذا المشروع ليس به المبررات الكافية للحصول على كل تلك الائتمانات ، وأعتقد أنك في قرارة نفسك تشاركينني نفس الرأي.

إنك تطلبين منا أن نمول مشروعاً وعملية كاملة مدتها ستة أشهر بمعدات ثقيلة وغالية،والوحيد الذي كان له سلطة تقرير ذلك هو المرحوم زوجك .

أما بالنسبة لك فيجب أن تبحثي عمن يشاركونك المشروع يا "سارة" .

قالت في صوت متردد :

- إن البحرية لن توافق ، ولا يصلح المشروع إلا بتعاونهم .

- إنهم في حاجة إليك مثلما أنت في حاجة إليهم .ولا تنسي هذا الأمر .

صمت برهة وهو يفكر . ثم استأنف الحديث :

- كم شخصاً غيرك يعرف الدوافع الحقيقية التي دعت البحرية إلى أن تسمح لك باستخدام معداتها ؟

- بخلافي أنا، هناك فقط ضابط الاتصال الخاص بنا،الذي كان عضواً في فريقنا وحدد نقاط الغطس والبحث .

وكانت "سارة" تعرف تماماً ما يريد الوصول إليه، لقد عرف بذلك أشخاص آخرون مؤخراً من معهد "بورت شارلوت" وسبق لهم العمل مع البحرية وقدموا لهم كافة الضمانات .وإذا قبلت شركاء لي فسيحضرون خبراءهم المتخصصين وهو ما يفسد سريتنا .

- وستضطرين إلى مشاركتهم السلطة ..

بهذا استطاع "جوناثان" أن يحدد الأسباب التي من أجلها اختار "هومير" مؤسسة "هيلي" فحتى ذلك الوقت لم تكن المؤسسة قد اشتركت في مشروع آثار من قبل ، وليس لديها خبراء متخصصون في ذلك المجال .

اعترفت "سارة" بذلك .

- بالضبط .ولكن المشروع مشروعي ،وفهمت أنني سأقوم بإدارته .. أليس كذلك؟

اعترض "جوناثان" في الحال :

- غير صحيح ، فـ"هومير" لم يكن يستطيع أن يقبل أي حل وسط ، أما أنت فليس أمامك الخيار .

عند هذه المرحلة من المفاوضات ، أحست "سارة" بأنه يقارعها الحجة بالحجة ، غير أنها -في نفس الوقت - وجدت جزءاً من عقلها يريد أن يستسلم ، وأحست بأنها تتعرض للضغط من كل الجهات ولم يكن لديها سوى رغبة واحدة .. هي الهرب ، أخذت الملف في يدها وطوته وهي تقول :

- إنني أحتفظ بحقي في اتخاذ القرار إلى أن تصدر أوامر جديدة يا سيد "هيلي" وشكراً على كرم ضيافتك ، وسأكون على اتصال بالسيد "أولدهام" اتجهت بعد ذلك إلى الباب ، لم يكن "جوناثان" في الحقيقة ينتظر منها ذلك ،

وكان يظن أنها متماسكة .

لا شك أنه ضايقها .ولكن بالنسبة للظروف الواقعة كان ذلك أمراً طبيعياً .

ولكن لماذا هربت هكذا فجأة ؟وما معنى " السيد هيلي" ؟

قال لها :

– أعتقد أنك في حاجة إلى التفكير في حديثنا ، وإذا أردت رؤيتي فستجدينني في حجرة الاستقبال .

لم تلتفت وراءها .وما إن وجدت نفسها في حجرتها ، حتى ألقت بنفسها على الفراش و قد بلغ بها الإنهاك مبلغه ، وطاردتها صورة "هومير" .

لابد أنها أغضبته ، بعد أن أفسدت مفاوضاته بنوبة عاطفية ساذجة للغاية .

لقد كان "چوناثان" على حق تماماً ، إذ لابد لها من البحث عن شركاء لها .

أخذت الدموع تنساب على خديها ، وقد انتابتها حالة من الرعشة .

لقد هدم كل من "هومير" و"چوناثان" كل ما كان برأسها من مشروعات .

قفزت من الفراش عاليا وهي تكتم صيحة عندما سمعت طرقاً على الباب .

لم يكن سوى "چوناثان" ، فقد رحل "دياز" وزوجته من حوالي ساعة حيث كان اليوم عطلتهما .

تطلعت بسرعة إلى نفسها في المرآة القريبة من سريرها .كان أنفها أحمر ، وقد انتفخت جفونها ، وبدا عليها الإرهاق .مسحت دموعها بظهر كفها ، ثم نهضت واقفة .قالت بصوت متهدج :

– من بالباب ؟

– أريد أن أتحدث معك . هل بإمكاني الدخول ؟

– سأحضر بسرعة .

مر وقت طويل خيم عليهما فيه الصمت ، وأخيراً سأل "چوناثان" :

–إذا أعطيتك ثلاثة ملايين دولاراً فهل تقبلين الحديث معي ؟

كان ذلك الصوت الرقيق مرة ثانية ، الذي كانت تسمعه من قبل في السيارة بسحره ونعومته ، وكانت هي في حاجة إلى الحنان.

أجابت وهي تشهق :

– لا !!

– ولماذا ؟

– لأن حجرة النوم ليست مكاناً لبحث الأعمال .

– وهذا يدل على أنك لا تعرفين شيئاً .إذن يا "سارة" افتحي الباب ، فأنا مصر على أن أقدم اعتذاراتي بنفسي .

وعندما أحست "سارة" أنه ليس هناك ما تأخذه عليه ، استسلمت ، ثم أسرعت بالدخول إلى الحمام لحظة دخوله الحجرة ، وعندما عادت أشار إلى الأريكة الصغيرة بالقرب من النافذة وهو يقول :

– تعالي ... اجلسي هنا ، لقد أحضرت لك القهوة .

كانت أقداح القهوة موضوعة فوق المائدة المنخفضة أمامها ، قال لها :

– قليل من اللبن بدون سكر ؟

غمغمت:

– إنك شديد الملاحظة .

– ليس بالضرورة ، إنني لم أحسب حساب أنك فقدت زوجك منذ وقت قصير ، وأن هذا أدى إلى حرمانك من أعظم مشروع في حياتك ، إنني حقيقة في غاية الأسف .

امتلأت عيناها بالدموع ، ولكنها قالت له بلهجة مرحة .

– لقد وعدت بإعطائي ثلاثة ملايين دولار.

– لقد كذبت فهل تسامحينني ؟

– أنت تعرف تماماً أنه ليس هناك ما يوجب التسامح ... إنك رائع يا"چوناثان".

ارتشف القهوة وهو يراقبها بإمعان :

– إنني فقط ممن تنقصهم "الدبلوماسية" والآن فهمت أنك كنت تحبين زوجك حباً جماً ، وأنك تعتبرين المشروع تكريماً لذكراه ، ولسوء الحظ ...

– إن من المستحيل تحقيقه بالشكل المتفق عليه سابقا ، والحقيقة أنني سببت إزعاجاً بعدم الإقرار بتلك الحقيقة ، ومع هذا .. أعتقد أنك تقدم لي مبررات

تبدو صالحة أكثر مما هي في حقيقتها يا "جوناثان" .أطرقت بعينيها ، وأخذت تلعب بطرف قميصها :

– في الحقيقة أنا لم أكن أحب "هومير" ، وكي أتوخى الدقة أقول: إنني كنت أقدسه ، خاصة في البداية .

وهنا ساد صمت شديد بعد هذا التصريح ، ووضع "جوناثان" ذراعه في مودة حول كتفيها .

– استمري من فضلك .

أحست "سارة" برغبة جامحة في الالتفات له ، وأن تلتصق به وأن تدعه يطمئنها.

لقد مر وقت طويل لم يؤثر فيها شخص بهذه الطريقة وبهذه العاطفة الآمنة .

ولكنها ظلت في مكانها ساكنة .

– لقد كنت صغيرة عندما التقيت بـ "هومير" ، وكنت قد أتيت من مدينة ساحلية صغيرة بولاية "مين" .

كان والداي يمتلكان محلاً للبقالة ، وتوفي والدي عندما كنت في العاشرة ، وتوليت إدارة المحل مع أمي .

كان جدي بحاراً ، وقص علي حكايات كثيرة عن رحلاته ، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله أحببت السفن .

أخذت في البداية أحلم بأن أتخصص في الطبيعة البحرية ونلت منحة دراسية بجامعة "جورهام" وبهذا حضرت مؤتمراً لـ "هومير الفاريدو" .

ظلت صامتة بعد ذلك لمدة ثوان ، ثم استمرت :

– كيف يمكنني أن أصف لك شعور الحنين إلى الثقافة الذي كان يجتاحني ؟ منذ تلك الحظة لم يعد لي سوى حلم واحد ، هو :دراسة آثار ما تحت الماء .لم يمض وقت طويل حتى لاحظني "الفاريدو" العظيم . لم يكن يظهر لي التواضع ولكني كنت طالبة مجدة .

وأخيرا أصبحت تحت حمايته ، وعلى استعداد لعمل كل ما يمكن لإسعاده .

– بما في ذلك الزواج منه ؟

–يا "جوناثان" ! .. رغم كبر سنه كان جميلاً ومليئاًبالحيوية وجذاباً للغاية .

وكان مفضلاً لدى النساء اللاتي لم يخجلن من إغوائه ، خاصة بعد وفاة زوجته الأولى .

– فعلا ... لقد تساءلت ماذا كان مصيرها ؟ لقد رأيتها في أحد مؤتمرات "الفاريدو" ، وكنت أتوقع رؤيتها عندما دخلت أنت مكتبي أول مرة .

نظرت "سارة" إليه في دهشة ، ثم استأنفت قصتها :

– لقد كانت تعاني السرطان ، وماتت وأنا في التاسعة عشرة ، وتزوجت "هومير" في سن الحادية والعشرين.

لم نكن في الحقيقة متكافئين ولم يكن قد حصل على جائزة "نوبل" فحسب ، وإنما أيضاً صنع منه التليفزيون نجماً إعلامياً .كان قد سيطر علي تماماً واعتبرت ذلك أمراً طبيعياً .

– وفي يوم ما رأيت نفسك مطالبة بمجاراته ؟

انطلقت في ضحكة مرحة :

– إنك تسخر مني ! لقد كان يسيطر عليه طموح بلا حدود ، لم يكن "هومير" يعتبر أن هناك شخصاً يساويه .

ومع ذلك حاولت أن أسرع الخطا كي أجاريه ، وسأخبرك بشيء لم أقله لأحد قط:

لقد كانت النظرية التي تدعم طلب التخصيص المالي من بنات أفكاري .

ولقد اقترحتها عليه فور عثورنا على الجرار الفخارية .

وبعد اكتشاف الحائط المغروس في البحر بدأ ينظر إلي بجدية ويبحث عن دلائل جديدة .ومع ذلك لم يتحدث قط عني في مقالاته .وانتهى بي الأمر إلى نسيان حتى إسهامي في بحوثه .

أخذت "سارة" تنظر في قدحها ، وقد غرقت في أفكارها ، ثم استطردت قائلة:

– بدأ ينمو داخلي إحساس متزايد من الكراهية السرية ، التي وصلت إلى حد شعوري نحوه شعوراً سلبياً .

وأصبحت السنتان الأخيرتان من زواجي من "هومير" أقسى سنوات حياتي .
كانت له شخصية طاغية ، وكان عمله كل حياته .
لقد اعتاد الاعتكاف في "الشاليه" المقام في الجبال البيضاء كي يعمل ، ولم يكن يسمح لأي فرد بتتبعه لازوجته الأولى ولا أنا شخصياً .
وكان يذهب هناك في عطلة كل أسبوع ، حتى أحسست أنه أهملني ، وكان يعود بأفكار رائعة ثم نرحل معاً إلى الكاريبي أو خليج المكسيك ، حيث كنا نقضي معاً لحظات غير طبيعية .لقد عشت معه أكثر لحظات حياتي إثارة .
أحست بأن الكلمات تكاد تخنق حلقها :
– عندما مات ، أحسست بالغضب لأنه تخلى عني ، وبالذنب لأنني مازلت على قيد الحياة .
وليسامحني ربي يا "جوناثان" لأنني أحسست ببعض الخلاص عندما اختفى من حياتي .
أخذت الدموع تترقرق على خديها :
– عندما وجدت أنني لن أعرف المباهج التي كنت أتوقعها عند اشتراكي معه في أي كشف عظيم أو أتلقى مديحه عندما يتأثر بنجاحي ..
أوه يا إلهي ! .. لم أكن قادرة على حبه حب المرأة لزوجها ، فتولدت بيننا مسافة كبيرة ، ولكن عندما مات انهارت حياتي .
وارتفع صوتها بعض الشيء :
– لقد ضحيت في سبيله بجزء كبير من حياتي ، وإن لم يكن ذلك بدون طائل ، والآن ذهب كل ذلك هباء .
واستدارت ناحية "جوناثان" ، وألقت نفسها بين ذراعيه وقد هزها النشيج .
أخذ "جوناثان" يربت على شعرها ، ويؤكد لها تفهمه لمشاعرها ، وشرح لها أن عواطف الحب دائما ما يشوبها بعض الغموض والتعقيد .
هدأتها كلماته العطوف ، وأخذت تبكي حوالي ربع الساعة ، أدت إلى خروجها من حالة التوتر الرهيبة والعصبية التي تملكتها ، وبعد ذلك نهضت ، وابتسمت لـ"جوناثان" وهي تحس بالخلاص والارتياح في آن واحد .وشكرته برقة .

كان "جوناثان" يتمتع بالتلقائية والتماسك ، مما جعلها تحس بأن كل ما حدث أمر طبيعي ، وأنه لن يهتم بالنتائج المترتبة عليه .
قال لها :
– هناك معرض بمتحف الفن الحديث ، وأحب جداً أن أذهب لمشاهدته .
هيا بنا نذهب إليه ، ونتناول الغداء معاً ثم نتجول بعض الوقت في المدينة ونتحدث عن المشروع ، ...هل هذا يوافقك ؟
قبلت عرضه .
كان النهار رائعاً ، وكأنهما في شهر سبتمبر أو نوفمبر .
وأدى الترييض في ضوءالشمس والهواء الطلق ، إلى خلاصها لأول مرة من الحزن الذي كان يكبلها ، وأضفى كل ذلك عليها مظهراً جديداً .
أحست أنها عادت للحياة شابة من جديد .
سار "جوناثان" بجانبها وهو يشعر بنفس ما تشعر به .
كان يشعر بالفخر لأنها وثقت به . كما أحس بداخله بالسعادة عندما اكتشف أن "الفاريدو" ليس ساحر نساء كما كان يظن وأنه لم يكن خالياً من العيوب ، ولم يبق أمامه سوى الانتظار .
اقترح "جوناثان" أثناء الغداء تخفيض تكاليف المشروع باستخدام سفينة أبحاث أصغر حجماً بطاقم بحارة قليل العدد وغطاس واحد .
واقترح أيضا إلغاء بعض أبحاث أعماق البحار اكتفاءً بما قامت هي باكتشافه.أما بالنسبة للشركاء فقد فضل أن يكونوا مكسيكيين .
–وإذا أردت فإن باستطاعتي القيام بالاتصالات المبدئية ، ويكفي أن تخبريني بأسماء من اتصل بهم . "هومير" بالبحرية .
كان "الجنرال" الذي ذكرت اسمه "سارة" يشغل مرتبة عالية جداً ، ولكن اتصالات "جوناثان" كانت تعد ميزة إضافية في هذا الشأن ، هزت "سارة" ، رأسها ببرود وهي تضحك .
فقال :
– إنني أحس أحياناأن مجال سلطات عائلة "هيلي" يضايقك .

اعترفت وهي تبتسم ابتسامة غير واضحة :

– هذا حقيقي .فأنت تعرف كل الناس .ويمكن أن تقول لي الآن إن ابن رئيس المكسيك من أحسن أصدقائك ، وإنه كان معك في فريق " البولو" عندما كنتما في الكلية ...

– في الحقيقة ..

– لا تكذب ، فهو أصغر منك بأربع سنوات .

– نعم ..لكنه منذ شرائه شركة " أي . إم . دبليو " وهو يعمل في مجال الأعمال .. في مجموعة شركات "فيليب" ..

قاطعته قائلة :

– "فيليب" ؟..أتسمي "فيليبي منديس مونتويا" – فيليب ؟ !!

– فقط عندما نلعب الكرة الطائرة معاً .

– عندما تكف عن محاولة التأثير علي .وبهذه المناسبة فإن "هومير" لم يستطع أن يحصل على أي مبلغ من الحكومة المكسيكية . كل ما فعلوه أنهم سمحوا له بالبحث في مياههم الإقليمية .

– نعم .. ولكن الظروف تغيرت ، فهم أيضاً في حاجة إلى هذا المشروع ، وإذا علموا أنه على وشك الفشل فمن المحتمل إلى حد كبير أن يبذلوا جهداً .وأتعهد لك بأن أحاول الاتصال بهم .

شكرته "سارة" ، واستقلا سيارة أجرة إلى المتحف ، وبعد ذلك تمتعا بمشاهدة فيلم سينمائي ، ولكن عندما اقترح "جوناثان" أن يذهبا لتناول الغداء في مطعم صيني مجاور هزت "سارة" رأسها وهي تقول :

– لا...يجب أن أعود الآن إلى "نيو هامبشير" ، وغدا يجب علي أن أعد محاضرات الأسبوع القادم كله ، ولدي أعمال متأخرة فوق طاقتي .

– في هذه الحالة ليس أمامي سوى حضور معرض مؤسسة البر الذي نظمته زوجة أخي العزيزة ولم أكن أريد أن أبدأ يومي غداً بالمتاعب .

تنهد وهو يقول :

– وفي هذه الحالة ، فإنني مصمم على اصطحابك بسيارتي "الكاديلاك" إلى

المطار.

– لا تتعب نفسك ... فلا أريد إزعاجك .

– تصوري نفسك بصحبة سائق سيارة أجرة ثائر يقود السيارة كالمجنون وساقاه غير ثابتتين .

أحست بالامتعاض من الفكرة ، واختارت "الكاديلاك" .

وحاولت – بينما كانا في الطريق إلى المطار – أن تقنعه أنها على حق في اتخاذها هذا القرار الصائب :

– لقد بلغ بي التعب مبلغه ، حتى إنني كنت سأقع مغشياً علي عند مطعم "موشو" الصيني .

– وأنا أيضاً .. كنت سأموت من شدة الضيق وأنا أتناول ضلع الخروف ، خاصة مع "أندريا" وفريقها للأعمال الخيرية .

سألته "سارة" دهشة :

– "أندريا" ؟

كانت وفقاً للمستندات التي فحصتها عنه ، قد تبينت أن له شقيقين ، أحدهما كان عضواً بمجلس الشيوخ ، والثاني يدير مجموعة شركات في "دينفر" بينما كان له شقيق ثالث توفي منذ سنوات طويلة .

ولم يكن لأي منهم زوجة تدعى "أندريا" ، قال شارحا : الأدق أن أقول أخت زوجتي السابقة . فنحن نلتقي بانتظام .

كانت هذه المرة الأولى التي يخوض فيها في حياته الخاصة .

– لقد تم الطلاق إذن بالتراضي بينكما ؟ .

– لنقل إن الأمر مر بسلام ؛ فقد منحت "كلير" كل ما تشتهيه المرأة : إقراراً برضائي وبصورة رسمية ، أن ما حدث كان غلطتي ، ومنحتها مبلغاً طائلاً .

– كيف يمكن أن تقول هذا يا "جوناثان" .إنني امرأة ، ولا أجد في تصرفاتك ما تقوله .

– لقد أحسست بعض المرارة لعدم نجاح زواجنا .

كنت أقضي معظم وقتي في العمل ، وإذا ما استقبلت بعض العملاء في المنزل، كنت أصحبهم لحضور مباريات كرة القدم ، أو أقترح لعب مباراة في الجولف ، وهو ما كان يضجر "كلير" كثيراً ، وكانت تحاول أن تغريني بالذهاب إلى الأوبرا أو المسرح أو المتحف ، ولكنها كثيراً ما كانت تفشل .

– ولكنك أنت اليوم اقترحت علي زيارة المتحف ومشاهدة الفيلم ..

– كنت في وقت ما من حياتي أحاول الهرب فترات ما بعد الظهر .

ومن حوالي ستة أشهر – قبل انفصالي عن كلير – أفقت تماماً إلى نفسي ، وتبين لي أن كل ذلك كان يتم بعكس رغبتي ، مما أفسد حياتنا ، وقد اقترحت عليها أن تذهب للحفلات الموسيقية والمتاحف بمفردها ، ولكنها فجأة لم تعد مهتمة أبداً بمسألة غيابي عن المنزل وعن تلك الحفلات ، ولما كنت ساذجاً – في حد ذاتي – فلم أفهم أنها قد اتخذت لها عشيقاً .

وعندما رحلت كنت أتهم الحظ ، لأنني كنت لا أزال أحبها ، وفي هذا الوقت اختار شقيقي "توم" –الذي يكبرني بثلاث سنوات فقط – هذا الوقت بالذات كي يصاب بنوبة قلبية ويموت دون أي توقع.

مررت بفترة عصيبة ، وكان والدي قد تأثر إلى حد بعيد ، حتى إنه تخلى عن مسؤولياته بالمؤسسة ، بينما ازدادت مسؤولياتي فيها شيئاً فشيئاً .

وقد فتح ذلك أمامي آفاقاً جديدة .

عند هذا الحد من اعترافات "جوناثان" ظهرت مباني المطار عن بعد .

وبدلاً من أن يتبع صف السيارات الذي كان سيتيح لهما الانتظار دقائق فقط .

اتجه إلى مكان انتظار السيارات .

أعلن لها وهو يقف السيارة :

– أود أن أسوي أمراً أو اثنين معك قبل سفرك ، إن الاجتماع القادم لمجلس إدارة المؤسسة لن يكون قبل شهر ديسمبر .

أرسلي إلي بالبريد كل ما يمكن أن يوضح النقاط التي يمكن لنا أن نتفق عليها، وقائمة باتصالات "هومير" ، ولا يشغلك أمر "أولدهام" فسأهتم به .

ابتسمت له "سارة" :

– شكراً لكل ما فعلته يا "جوناثان" ... لقد كان اليوم ممتعاً حقاً .

ثم خفضت رأسها وقالت مكملة حديثها :

– وشكراً لأنك سمحت لي أن أبكي على كتفك، وأرجو ألاتكون دموعي قد لوثت سترتك .

مرر إصبعه على خدها ، وقال بصوت رقيق :

– لقد تأثرت سترتي كثيراً . عوداً حميداً ، وأرسلي لي كل ما طلبته .

– اتفقنا .

وضعت "سارة" يديها على كتفيه ، وانحنت للأمام كي تمنحه قبلة الوداع .

كان ذهنها يفكر فقط بأن هذه حركة مودة لا أكثر ، ولكن عندما لمست شفتا "جوناثان" خدها . أحست أن قبلته في غاية الحلاوة والقبول ، حتى نسيت أن تخرج من السيارة .

أخذ وجهها بين يديه وملأه بالقبلات السريعة المحمومة ..بينما أخذ قلب "سارة" ينبض بشدة .أحست بيديه تتجولان فوق جسدها بلطف ورغبة ، فازدادت سرعة أنفاسها وألقت برأسها للخلف وقد فتحت شفتيها نصف فتحة .

وانتظرت وهي متقطعة الأنفاس ..

فجأة أخذت يداه تجريان في شعرها بعنف ، ثم أطبق على شفتيها .

لم تعرف "سارة" بعد ذلك ماذا حدث بالضبط ؟

فقد كانت في شبه غيبوبة من الرغبة ، وفجأة استعادت وعيها .

كان ذلك بمثابة استيقاظ من حلم غير طبيعي .

أبعدته بحزم ، وسألته في تأنيب .

– لماذا فعلت ذلك ؟

ألم يكن الأصح أن توجه هذا السؤال إلى نفسها ؟

واعترض بعد ثانيتين من التفكير والصمت .

– لقد طلبت ذلك بطريقة خفية .

وصحب إعلانه ذلك بابتسامة مرحة :

– وأنا كنت أتحرق شوقاً لذلك .

www.elromancia.com

احمر وجهها خجلاً ، ولم ترد مناقشة هذه النقطة .

– ولكني لا أهتم بمثل هذه الأمور يا "چوناثان" وأقسم لك على ذلك .

– أنت مخطئة يا دكتورة "بايرز" لقد اهتممت بذلك ..

على الأقل بضع دقائق ..

وأخذ يربت برقة على شعرها .

– لا تعطي الأمر أكثر مما يستحقه .

ربما كانت هذه أولى قبلاتنا أو آخرها لوقت طويل وعلى أية حال فإن أي الحلين يرضيني .

قالت له بلهجة لاذعة ، وقد ضايقها استهتاره :

– هل أنت متسرع في علاقاتك مع النساء هكذا ؟

– على العكس تماماً ..فأنا رجل رزين ، بل أكثر الناس رزانة . ثم تنهد وأكمل:

– آه من هؤلاء العلماء ! اذهبي واستقلي طائرتك يا "سارة" .

وقبل كل شيء فإن الأمر لم يخرج عن كونه مجرد قبلة ، وليس نظرية "أينشتين" عن النسبية.

أطاعته "سارة" ولكن ما حدث بينهما كان أكثر تعقيداً من نظرية النسبية .

الفصل السادس

مرت ست سنوات منذ آخر مرة قضت فيها عيد الميلاد مع أمها .

وكان "هومير" يمتعها في تلك الأوقات في "المكسيك" أو بالرحلات ، وعندما اشتكت من ذلك ، كان الأمر ينتهي بجدال حاد ورجوعها عن إصرارها .

كانت تستعيد ذكريات طفولتهاعندما كانت تغني ألحان عيد الميلاد حول البيانو عند خالها وخالتها ، وتساعد أمها في إعداد العشاء وتزيين شجرة عيد الميلاد.

وكانت تتمتع مع بنات ابنة عمها "إميلي" وتساعد في المحل ، وتزور الصديقات.

وكانت العطلات الصيفية – في الوقت نفسه – تسمح لها بالعمل في هدوء ومراجعة دروسها .

قررت أن تذهب إلى "بور تسموث" يوم الجمعة الثالث من يناير (كانون ثان) بعد الغداء وبذلك تصل عند حلول الليل .

نهضت في ذلك اليوم مبكرة جداً ، وأشعلت مدفأة حجرة المعيشة ، وأعدت لنفسها القهوة ، ثم جلست في راحة تطالع الجريدة ، لحقت بها أمها حوالي الحادية عشرة ثم مدت يديها ناحية النار.

–إن البرد قارس يا "سارة" ويقال إن عاصفة توشك أن تهب .

– اخلعي معطفك يا أمي واجلسي .

وضعت "سارة" مقعداً بجوار المدفأة وسألتها :

– هل تريدين قدحاً من القهوة ؟

– ليس الآن يا عزيزتي .

ألقت "أليس بايرز" نفسها فوق المقعد ، وقد وضعت معطفها فوق ركبتيها ، كانت تبلغ الستين ، ولكنها كانت تتمتع بصحة جيدة للغاية .

– إن "مارجوري" تتولى العناية بالمحل حتى موعد رحيلك .

www.elromancia.com

لقد أحسنت عندما وضعت سلاسل السير فوق الجليد فوق إطارات سيارتك فهل فعلت ذلك ؟

– نعم يا أمي هل طالعت الجريدة ؟

– أريتيها .

تصفحت "أليس" الصفحات بسرعة .

كانت "سارة" تفضل هذه الجريدة الأسبوعية المحلية ، لأنها تطلعها على إشاعات " سيل بورت " كانت الجريدة قد أشارت إلى حضورها في عدد الأسبوع الماضي .

كما كان هناك تحقيق صحفي عن أخبار المجتمع ، قالت "أليس" :

– لقد قرأت الجريدة هذا الصباح في المحل ، وكانت "مارجوري" قد أحضرتها ، وقد قضينا وقتاً لا بأس به في قراءتها .

وأريد بالضبط أن أريك شيئاً ..

طوت " أليس " الجريدة وهي تقول :

– آه ...ها هوذا .. أخبريني :

هل يخرج حقيقة مع تلك المرعبة ذات الشعر " البلاتيني " ؟

انحنت "سارة" فوق كتف أمها ، وكان المقصود هو " جوناثان هيلي" والمرعبة البلاتينية هي " توني ريتر" ، الصحفيةومقدمة البرامج التليفزيونية التي قابلتهاعند "روسيل هيلي" ، وكان التعليق على الصورة يقول :

" آخر غزوات رجل البنوك "جوناثان هيلي" .. أغرقت " سارة" في الضحك وقالت:

– أوه يا أمي ! يجب ألا تصدقي كل ما يكتب في الصحف .

لقد كانت " توني ريتر" تحضر هذه الأمسية لدى " روسيل هيلي" التي حدثتك عنها ، ولم يعطني الانطباع بأنه مغرم بهذه المرأة .

– إنها مشهورة بأنها صنعت مهنتها عن طريق لصق اسمها بأسماء الأشخاص المرموقين ، وما تقولينه عن صديقك "جوناثان " يجعله يقع فريسة لها .

– لا تقلقي عليه ، إنه يعرف كيف يحمي نفسه .

ابتسمت " سارة " عندما تذكرت رد فعل " أليس " حينما اتصل "جوناثان" تليفونياً يوم الاثنين الماضي ، وتناقش أكثر من عشر دقائق مع الأم قبل أن يطلب الحديث مع الابنة .

وكانت "أليس" قد وضعت كفها فوق سماعة التليفون وهمست " :

– إنه هو .. إنه ساحر ، ولكن لا تنسي أنه من "نيويورك" .

لم تكن الأم يروقها " هومير الفاريدو" كثيراً ، فقد كانت تعتبره منفرا ، وليس مؤثراً كما تعتبره ابنتها " العجيبة الثامنة " في العالم .

والآن ها هي ذي ، لا تثق برجل البنوك هذا اللعوب .

أما بالنسبة لـ "سارة" فإنها لم تكف عن تقديم آيات المديح عنه منذ مجيئها ، ومنذ أن نظم لها بعثة تتولى هي قيادتها .

كانت البحرية ستوفر فريقاً عن طريق معهد " بورت شارلوت " ، كما سيمول مركز أبحاث " بفلوريدا" الباخرتين ، وأعضاء طاقم البحارة والغطاسين كما ستساعدها أيضاً الحكومة المكسيكية ، وفي المقابل سيقوم أحد خبرائها بفحص كل ما يستخرج من الماء وجميع الأشياء الثمينة تبقى داخل البلاد .

وأخيراً ستقوم مؤسسة "هيلي" بتكملة كل ما ينقص ، كما سيقوم "جوناثان" بنفسه بإدارة المخصصات المالية .

أما الظل الوحيد الذي كان في تلك اللوحة الرائعة فكان الدور الذي ينوي أن يلعبه هو ما دام قد قرر الحضور بنفسه إلى الخليج كي يشترك في الأبحاث .

طوت " أليس" الجريدة ، ووضعتها فوق المدفأة ، وأدارت رأسها ناحية النافذة .

– هل لاحظت خضرة الأشجار العالية ؟ إنها تنتمي إلى فصيلة نادرة من الأشجار .

أريد أن أقابل صديقك "جوناثان" ، وأرجو أن أكون موجودة عندما يحضر المرة القادمة إلى "بور تسموث" .

– ولكن يا أمي لا توجد أي شركة من شركاته في "بور تسموث".

قالت" أليس " بلهجة ماكرة دون أن تحول نظرها :

– ربما لا تكونين إحدى شركاته ، ولكن هذا لا يمنع أنك تقيمين في

"بورتسموث".

– إن لديك يا أمي خيالاً جامحاً فعلاً .

أطلقت " أليس " صيحة لاذعة وقالت :

– فكري ثانيتين يا "سارة " .

لقد تحدث هذا الفتى حوالي عشر دقائق في التليفون .

هل تعتقدين أنه يضيع وقته في محاولة استمالة أمهات كل من يعقد معهم أعمالاً ؟ إنه ليس من ذلك النوع .

هزت "سارة " رأسها ، ورفعت عينيها إلى السماء .

–أوه ! لا داعي لأن تتبعي نفسك ، أو تقومي بحركات غضب من وراء ظهري يا"سارة " .

صمتت "أليس" برهة ، ثم قالت :

– إنك ما زلت شابة ، وفي كامل صحتك ، وقد تغير الزمن .

والآن فإن النساء لهن مطالبهن ، ويتصرفن وفقاً لتلك المطالب .

صمتت مرة ثانية ثم أردفت :

– لابد أن هذا الشاب جميل جمالاً رائعاً .

لم تستطع " سارة" أن تمنع تنهيدة إعجاب،بينما استمرت أمها في الحديث وهي تضحك :

– حسناً .. لا تحرمي نفسك يا ابنتي ولكن اسمعيني جيداً ..

إنني لا أريده أن يدير حياتك بدلاً منك ، أو أن يجرح قلبك .. هل تفهمينني ؟ لقد عانيت بما فيه الكفاية مع " هومير" ولا تربطي أحسن ما فيك برجل يا ابنتي الصغيرة .

إن الرجال العاطفيين لا يقبلون أبداً تلك الهدية ، ورجال السوء لا يستحقونها .

ترقرقت الدموع في عيني " سارة " ، واحتضنت أمها وقبلتها ، وداعبت شعرها الرمادي وهي ساهمة .

وقفت " سارة" في منتصف يوم الاثنين في حرم الجامعة عند المركز الثقافي للطلبة كي تحصل على برنامج المحاضرات وامتحانات الفصل الدراسي .

وقع بصرها على اسم " جوناثان هيلي" ، كان قد حضر إلى " بورتسموث" دون أن يخبرها .

أحست بالاضطراب ، فألقت الأوراق على المقعد الخلفي لسيارتها ودخلت المكتبة كي تعمل .

وبعد مدة انضمت إلى مجموعة من الطلبة الذين سبق أن سحرتهم بما حكته لهم عن العالم الساحر الغامض البعيد ، المدفون تحت الماء والذي ستدربهم عنده .

كانت قد نسيت " جوناثان" مؤقتاً .

وبعد فترة تناولت الغداء مع "جيل " التي ظهر عليها الاكتئاب بعد عودتها من الصين ، حيث تركت زوجها هناك .

وفي بداية فترة ما بعد الظهر عادت " سارة " إلى مكتبها ، ثم تذكرت مؤتمر "جوناثان ".بعد تردد قررت أن تطلبه تليفونياً.رفعت "جودي" السماعة ، وأخذت تضحك عندما سألتها " سارة" إن كان "جوناثان" مشغولا.أجابتها :

–"نعم – كالعادة – ولكن بالنسبة لك موجود " .

بعد عدة ثوان سمعت صوت "جوناثان " على طرف الخط :

– هل تم البيات الشتوي يا "سارة" ؟

–ممكن أن يحدث . قل لي ، لقد وقع بصري على اسمك بعد ظهر اليوم بين قائمة المحاضرين في الفصل الدراسي وتساءلت ... ماذا .. ؟

– ألم أخبرك من قبل ؟ .. ومع ذلك أقسم ...

–هل أنت بالمنزل هذا المساء ؟

– نعم .. نعم .

– سأمر عليك .. إلى اللقاء .

وضع سماعة التليفون قبل أن يتيح لها الفرصة لتقول له " إلى اللقاء" .

اضطربت اضطراباً جماً من أعماله الفجائية ، حتى إنها لم تعد تستطيع التركيز فى النسخ التي سلمها لها الطلبة هذا الصباح .

ولكن لماذا تبدو متشككة هكذا ؟ مادامت تعرف أنه غارق في أعماله ؟ وإذا كان هذا الشخص قد سيطر على تفكيرها إلى هذه الدرجة ، فلماذا لا تتخذه حبيبا

www.elromancia.com

لها ؟ على أية حال فليس هناك ما يمنع ذلك .

ثم إنهما مستمران كصديقين حميمين .

نعم هذا كل ما في الأمر .

عندما اتصل بها في منزلها ، كانت الساعة تقترب من العاشرة .

هجمت " سارة " على التليفون :

– آلو ؟ .

– "سارة" ؟ .. أنا " جوناثان" .

أرجو المعذرة .. لأن كل الناس يحدثونني في وقت واحد ، ولا أستطيع أن أسمعك .

– مفهوم . ولكن بالنسبة لهذا المؤتمر ..

– إنني متأكد من أنني أخبرتك عنه مسبقاً ، والحقيقة أنني قد حللت محل صديق اضطرته الظروف للاعتذار ، وطلب مني أن أؤدي له هذه الخدمة .

– آه .. حسناً !

– وفي الحقيقة أنني قبلت ذلك كي تتاح لي فرصة لقائك وأمامنا العديد من المشاكل لابد من حلها ، مثل جدول المواعيد ، والفريق، والأشياء المشابهة .

حسبت أن الأشياء المشابهة هي مكان إقامتها أو – على الأقل – هذا ما جال بخاطرها ، وفجأة وجدت نفسها تقول :

– لست مضطراً للقائي إذا كنت مشغولاً ، وأنا أقدر موقفك .

– هل أفهم من ذلك أنك مشغولة ؟

احمر وجه " سارة " خجلاً، وقالت :

– لا.بدون شك . متى ستصل ؟

– يوم الخميس بعد العمل . وسأنتهز فرصة سفر أحد أصدقائي بطائرته الخاصة وستهبط في قاعدة " بيز " الجوية ، حيث سيقوم بحل مشكلة مع العسكريين ، وسينتهز الفرصة –هو الآخر– ليعقد مؤتمراً .

– برافو .. إنك منظم للغاية .

– يخيل إلي أنك تتهكمين .هل ستدعينني للإقامة عندك ؟

صمتت " سارة" فترة ثم قالت :

– كنت على وشك أن أقترح ذلك ، وسأنتظرك على العشاء .

وبينما أفكر في الأمر أرجو أن تعطيني رقم تليفون " روسيل" .. والآن ما دمنا قد رفعنا من ميزانيتنا ، فسأحاول إغراءه كي يسمح لنا بإقامة قاعدة صغيرة في جزيرة " النمر " .

اقترح عليها " جوناثان" قائلاً :

– حدثيه عن المباني القريبة من الميناء ، ففي أحدها تم إزالة ورشة نسيج مؤخراً ، وأعتقد أن مساحتها لا تزال خالية .

شكرته " سارة " ، وأعطته موعداً خلال الأسبوعين القادمين .

وفيما يتعلق بميناء جزيرة " النمر " ، فقد أصابتها الدهشة .

وبدا وكأن الجزيرة تشتمل على عدة مستودعات .

فتساءلت عن سبب ذعر .. " روسيل" من وجود العمال الذين يجوسون في المنطقة ؟

وباختصار ، لم يبق أمامها سوى إقناعه بأن أعضاء الفريق سيقيمون معسكرهم في تلك المنطقة .

وسيتم تسوية كل شيء بسرعة .

www.elromancia.com

الفصل السابع

كان " جوناثان" سعيداً ومسروراً من نفسه عندما ركب سيارة الموقع التي كانت تنتظره في قاعدة " بيز" .

لم يكن هناك ما يسعده أكثر من أن يجد المشروع الذي أعده يسير وفقا لما حدده من خطوات .

كان قد بدأ بوضع الميزانية وتنظيمها وفقا لما طلبته " سارة " وقبل كل تعديلاتها ، والآن أصبح المطلوب هو الانتقال إلى الأمور الجادة ، وأن يراجع كل الأمور ، لأن بعض الترتيبات لم تجر حسب الاتفاق .

ثم هناك مؤتمره في " بورتسموث " الذي لم يأت من فراغ فقد اتصل برئيس جامعة " جورهام " كي يجعله يدعوه ، وأن يخطر " سارة " بذلك .

اتبع التخطيط الذي أعدته " سارة " وقد علت الابتسامة شفتيه .

كان في رأيه أن الدكتورة الساحرة " بايرز" كانت على استعداد لتقبل وجود رجل آخر في حياتها ، وبقي أمامه أن ينسيها أحزانها وخوفها وشكوكها .

كان الطريق خالياً تماما ، حتى خشي أن يكون قد ضل الطريق ، فألقى نظرة على عداد السرعة كي يتأكد من أنه لم يتجاوز الكيلو مترات التي حددتها "سارة" ، فوجد أن أمامه كيلو مترا أو اثنين.

لقد وصل إلى الطريق الضيق المتشابك عن يمينه ، ووجد صندوقاً عليه عدة أحرف حمراء كان المنزل وسط الغابة ويلقي بأضوائه على الأشجار التي يغطيها الضباب والثلج .

وقف محرك السيارة كي يقف بالسيارة دون إزعاج على بعد أمتار من المدخل الذي بدا محفوراً في الأرض ، وقد وقفت أمامه سيارة " جيب " من أحدث طراز.

كان المنزل على الطراز " الجورجي " . له نوافذ صغيرة عليها قضبان صغيرة من الحديد تطل على قاعة الطعام .

رأى مائدة مقامة وكأنها معدة لاستقبال حفل كبير ، وقد رصت عليها أدوات المائدة من " الكريستال " و "الخزف الصيني" و" الشمعدانات " المصنوعة من الفضة اللامعة ورأى على اليسار حجرة المعيشة ، حيث كانت نيران المدفأة مشتعلة. كان المكان يبدو رائعاً وقد امتلأ بالأثاث العتيق وبالتحف التي كانت تثير حسد هواة جمع التحف .

سمع ألحاناً شجية تأتي من غرفة المعيشة عرف على الفور أنها من موسيقى "باخ" .

أما الشيء الوحيد الشاذ عن هذا الجو الكلاسيكي فكان " سارة " نفسها .

كانت ترتدي " الچينز " و" سويتر " من " الكشمير" ، وقد مشطت شعرها في تسريحة ذيل الحصان .

وضع " جوناثان " أمتعته وقد أحس ببعض الغربة .

كانت الموسيقى الحالمة والنيران في المدفأة وضوء الشموع الخافت ، تبدو وكأنها رتبت خصيصاً من أجل إغوائه ولكن "سارة " كانت تتجول في بنطلون " چينز " وقد انتعلت حذاء عتيقاً .

وفي اللحظة التي أعد نفسه كي يقبلها ، مدت له يدها قائلة بصيغة شبه رسمية:

– أعطني معطفك .

نفذ أمرها ، وأخذ يفحص بعض الورود المنحوتة على إناء بجوار صوان المعاطف .

– هل هذا جزء من مجموعة " تحف " زوجك ؟

– نعم .. أما الجزء الأكبر من مجموعة " هومير " فسيضم قريباً إلى متحف جامعة " جورهام " ويتم الآن تصويرها .

هل تحب أن تشاهد المنزل أم نذهب لحجرة المعيشة لتناول الشراب ؟

وسيتم إعداد العشاء خلال ربع الساعة وسأحضر لاصطحابك .

عادت ثانية إلى المطبخ ، وقد تركت " جوناثان " في البهو المطل على المدخل .

فصب لنفسه كأساً وهو يحلم .

كانت " سارة " رائعة ، وهي ترتدي " الچينز " وصارت أكثر جمالاً مما كان

www.elromancia.com

يتخيلها في ذاكرته .

فكرت أنها إذا لم تكف عن معاملته وكأنه عم عجوز لها فإنه سيجد صعوبة في الامتناع عن مداعبتها ، عندما دخلت " سارة " المطبخ أمسكت كأساً نصف مملوءة بالشراب ، وشربتها دفعة واحدة .

وكان " الچينز" و" السويتر " هو الزي الرابع الذي غيرته .

كان "التايير" الذي ارتدته للذهاب للجامعة مرتفع الياقة .

أما ثوب " الكوكتيل " المصنوع من الحرير فكان أنيقاً للغاية ، في حين كانت "البيچامة" المصنوعة من الكشمير ذات الياقة العريضة مغرية وجذابة وأخيرا انتهى الأمر بارتداء " الچينز " .

كانت قد قررت أن تستقبل " چوناثان " كما كانت تستقبل المدعوين من أصدقاء " هومير " .

كانت تحب المائدة المعدة بأطقم الطعام الجميلة مع الموسيقى الكلاسيكية ، ولم تكن تنوي أن تغير عادتها .

كانت قد انطلقت في الضحك عندما تذكرت منظر وصول " چوناثان " وما حدث من لبس ما بين القبلة والمعطف .

لقد بدا كل شيء على ما يرام .

عندما انضمت إلى "چوناثان " في حجرة المعيشة كان قد خلع سترته ورباط عنقه ، وقد أمسك كأساً من الشراب في يده وهو يقرأ الجريدة .

كانت حقيبة أوراقه مفتوحة فوق المائدة المنخفضة ، وقد ظهرت نسخة من مشروع " سارة " .

قالت وهي على الباب :

– العشاء معد !

استدار إليها وقال :

– تعالي هنا ، واقرئي هذه المقالة هل تعلمين ماذا تقول ؟

تقدمت حتى الأريكة ، وقرأت العنوان من خلف كتفه .

– " العثور على حطام سفينة قديمة جداً " .

– لقد اتصل بى صديق من " فلوريدا" بشأن هذا الموضوع ، إن " الهلب " المصنوع من البرونز – الذي عثر عليه بعض الهواة – مماثل لذلك " الهلب " الذي استخرجه " چورج باس " من مياه تركيا الإقليمية منذ بضع سنوات مضت .

ويدعي البعض أنه ليس " هلباً " وإنما هو مجرد حجر ، بينما البعض الآخر يرجع أصول " الهلب " إلى البحر الأبيض المتوسط ، ولا أتفق معهم في هذا الرأي .

وفي رأيي أنه أتى من نفس المنطقة وليس مصادفة أنه اكتشف في نفس طريق الجرار الفخارية .

طوى "چوناثان " الجريدة ، ووضعها داخل حقيبته .

ثم قال وهو ينهض :

– خسارة أنه يقع بالقرب من " كوبا " .

ذكرته " سارة " :

– " ولكنه لا يزال يقع في المياه الإقليمية " .

– هذا تفسيرك ، ولا شك أن لدى " كاسترو " تفسيرا آخر. ابتسمت " سارة" فجأة ، ولم تقاوم رغبتها في مداعبته :

– أتمنى أن نفوذك يقف عند "هافانا " يا سيد "هيلي" ولا تستطيع أن ترفع سماعة التليفون وترتب لي مهمة غطس صغيرة تحت نظر " القائد الأعلى " .. وأنا التي ظننت أن " فيديل " كان يداعبك على ركبتيه عندما كنت صغيراً.

– فعلاً ، وماذا بعد ..

– أرجو أن تكف عن اعتباري ساذجة .

– لقد قابلته بالفعل من حوالي أربعة أشهر ، وهو يقوم برحلة وطلبت منه الموافقة على مقابلة عميل مهتم بالاستثمار في "كوبا"عند تطبيع العلاقات معنا.

لقد استمع إلي وطلب أن أزوره في " كوبا" في الربيع ، ولدى "چيري لينش"– وهو أحد شركائي – خبرة أكثر مني بالحكومات الشيوعية وأفكر في أن أترك

www.elromancia.com

المهمة له . هل هذا يدهشك ؟

– لا .. بل يضايقني .

أرادها أن تعفو عنه ، فأمسك بذراعها وقادها إلى غرفة الطعام ، وقدم لها مقعدا بطريقة دبلوماسية ، لمست أصابعه ظهرها،تنبهت " سارة " في الحال ، فغيرت الحديث إلى أول موضوع طرأ على بالها :

– بمناسبة هذه التغييرات التي طلبتها تليفونيا ...

ولكنه كان قد ابتعد بالفعل ناحية البهو .

– لقد نسيت أنني أحضرت لك زجاجة فاخرة من قبو " مارينجو" وهل يضايقك لو بدأنا العشاء بهديتي ؟

ردت وقد بدت عليها العصبية :

– لا . لا . إطلاقا! .

نظر إليها بطرف عينيه قائلاً :

– من الأفضل لك أن تهدأ أعصابك بعض الشيء وأخرج " جوناثان " الزجاجة من حقيبته وهو يبتسم ، كان تصرف "سارة" يسعده كثيراً .

وعند عودته إلى قاعة الطعام وقف بجوار قاطع التيار الكهربي وأطفأ النور وأشعل الشمعات بولاعته . قال :

– نحن بحاجة إلى هذا حتى نشيع جواً عاطفياً ، وبعد هذا اليوم الحافل الذي قضيته ، لا أقبل أن أفسد هذا العشاء بتلك المفاوضات التي لا تنتهي ، إذ يمكن لها أن تنتظر .

صمت برهة ثم أضاف متسائلاً :

– الآن حدثيني عن المنزل . ما تاريخ بنائه ؟

كانت هذه الأحاديث التمهيدية تروق " جوناثان هيلي" تماماً لكن التفكير في المشروع جعلها عصبية في تلك اللحظة هاجمته "سارة" :

– حسنا . دعنا نتحدث عن أمور عامة . هذا المنزل يرجع تاريخه إلى بداية القرن التاسع عشر .

وهو مكون من ثلاث حجرات بكل طابق ، ولكني أستخدم إحداها كمكتب ، وتبقى

حجرتان إذن : واحدة لي والأخرى ..

ثم سألته فجأة :

– أيهما تفضل ؟

كان "جوناثان " يغترف من " السلطة " ، وقد فاجأته بهذا السؤال ، فتصلب وقد أمسك بالمنشفة في الهواء .

ثم وضع بعض أوراق " السلطة" في طبقه وهو يبتسم :

– هل تودين بعض " السلطة " يا " سارة " ؟

– نعم . وشكراً ... ولكنك لم تجب عن سؤالي .

اتسعت ابتسامته :

– الحجرة التي بها السرير الأكثر راحة .

– السريران ممتازان .

– إذن هذا يعتمد على كرم ضيافة المضيفة . هل تريدين لحما ؟ أو مكرونة ؟

– ليس الآن . إنك تجيد التهرب بطريقة لا تصدق يا "جوناثان" . أجب عن سؤالي ! انطلق "جوناثان " في الضحك .

– حسناً ما دمت تصرين . سأكشف لك عن " الاستراتيجية" التي وضعتها قبل الوصول إلى هنا إنني معجب بك ، وأنت تعرفين ذلك ، وقد رأيت أن أضم مسلكي إلى مسلكك .

وأقل ما يمكن أن يقال عنه ، انك لا تعطين انطباعا بأنك واضحة حول هذا الموضوع . حسناً والآن اعذريني لأنني أشعر بجوع قاتل . وأعتقد أن بإمكاني أن أبتلع كل ما فوق المائدة ، بما في ذلك هذه الشمعات التي لا تجدين الشجاعة على إشعالها، احمر وجه " سارة" خجلاً وتنهدت ، ثم أخذت تأكل بشهية .

تحدثا عن المنزل وعن عملهما ، قال "جوناثان" :

– أولا فيما يتعلق بارتباطي بجامعة " جورهام " ، كنت في حاجة إلى ساعتين كي أفكر قليلاً حول ما سأقصه عليهم ، وحتى الآن لم أحصل على دقيقة فراغ.

ضحكت " سارة " ضحكة خفيفة :

– وأنا التي كنت أظن أنك ستقضي الليل بأكمله وأنت تقص علي قصص الغزل.

– بعد الأسبوع الذي مر علي ، سيصبح ذلك أمراً عسيراً ولكن لن أطلب أكثر من المحاولة ...

أحست بالخجل ، واستدارت فجأة ثم دار الحديث بعد ذلك حول الموضوعات الأكثر براءة .

وبعد انتهائهما من تناول الطعام ، أرسلت " سارة " "چوناثان" إلى حجرة المعيشة، بينما أعدت "الحلو" والقهوة ، وعندما عادت إليه ، كان قد زاد من وهج النار في المدفأة ، ثم استدار نحوها قائلاً :

– أعتقد أن اللحظة قد جاءت كي نتحدث عن مشروعنا ؟

كان العشاء الذي تناولته " سارة " قد ساعدها على الاسترخاء ، ورغم ذلك أحست بمعدتها تتقلص .

جلست على الأريكة بجواره وكان يضع نسخة من المشروع على ركبتيه وقال:

– هذه هي الأفكار التي أوحى إلي بها المشروع الجديد .

وسيكون من الرائع لو اكتشفت حطام السفينة خلال ثلاثة أشهر يا " سارة " ، وإلا ... حضرت إلي يوماً ما وعلى فمك ابتسامة وقلت لي :

– أخشى أن أكون قد أسأت تقدير قيمة المشروع يا "چوناثان" ، ولكننا لانستطيع أن نتخلى عنه الآن ، فقد أنفقنا الكثير من المال ونشرنا حوله دعاية واسعة .

وعليك الآن أن تواجه ضرورة مد الدعم " وأقول الحق إن ذلك لا يسعدني أبداً..

– أعترف بأن أرقامي كانت على أساس الحد الأدنى من العوائق ولكن مشروعي قد تحقق تماماً .

– هل تعرفين يا " سارة " المثل القائل " الترزي الحاذق يقيس مائة مرة ويقص مرة واحدة ! " عليك أن تضعي ميزانية ضخمة وتنفقي منها القليل .

– إذا لم نجد أموالاً فسنحزم أمتعتنا ونعود للوطن .

– هذا الاحتمال ليس في الحسبان أبداً .

أخذ يتطلع إلى صفحة أو صفحتين :

– لماذا – بحق الشيطان – أنت في حاجة إلى جهاز حفظ لمدة خمس سنوات. افترضي أنه ليس لديك ما يحتاج إلى الحفظ ؟

– مستحيل . ومن ناحية أخرى ، فإن صديقتي " چيل " تعمل مع الخبير "المكسيكي" في التعرف على الأشياء ، وستشتغل بالقاعدة ، وستنقل ما سنعثر عليه إلى " المكسيك " حتى يتم فحصة بالكربون و الكوارتز .

– حسناً .. موافق . ولكن لماذا تريدين عالمي طبيعة وكيمياء؟

في هذا المجال يمكنك استخدام أحد العلماء يجمع بين التخصصين ، إلى جانب إخصائي الأحياء والشخص المكلف بإعادة ترميم الأشياء ابتداء من جمع القطع والشرائح وتصويرها ، وكذلك إخصائي الچيولوچيا .

كانا يتناقشان خطوة بخطوة ، وأخذت " سارة " تحس بالعصبية وهي مقتنعة بأن "چوناثان" يتجاوز حقوقه ويتعدى على مملكتها .

– إنني – يا " سارة " – الذي سيجمع " الأواني المكسورة " إذا حدث وعادت البعثة بخفي حنين . لقد طلبت مني أن أشرف شخصياً على المشروع وقبلت . وأنا آخذ الأمور بجدية ، وأؤدي دوري على أكمل وجه ، والمفروض أن يسعدك هذا .

تجهمت وقالت :

– لو كنت مكان " هومير " لأرسلتك إلى الجحيم منذ وقت طويل .

– لو كنت مكان " هومير " لذهبت بنفسي إلى الجحيم ، ولكن ما فائدة البحث عن المستحيل ؟ هيا بنا ننتهي يا " سارة " .

واستأنفا مباحثاتهما ، وعندما اتفقا كان الليل قد انتصف .

قبل " چوناثان " أن يمنحها المزيد من الأموال في مقابل ما وافقت عليه "سارة" من تخفيض عدد العاملين والاستغناء عن بعض الأهداف .

ولما كان كل شيء قد تم ، أصبح يبدو من الصعب أن تستعيد دور المضيفة الكاملة . لقد جعلها "چوناثان" تمر بربع ساعة سيئة من المؤكد أنها لم تكن

حانقة عليه ، لأنه كان يقوم بأدائه لعمله على أكمل وجه ولكن ذلك لم يعد يقربها منه بعد ذلك .

وكانت الطريقة التي قالت له بها :

-"إنني سأرشدك إلى غرفتك " ليست مشجعة بالمرة ، رتب ملفاته ثم تبعها ، وعندما وصلت إلى الباب قالت بصوت رتيب :

- هناك أغطية إضافية في الصوان ، وكذلك مناشف الوجه . لدي محاضرة في التاسعة صباحاً وأعتقد أن بإمكاننا أن نرحل معاً .

شكرها "جوناثان " ثم وضع يده فوق كتفها . قالت :

- لقد كنت طيباً للغاية هذا المساء . وحصلت مني على فائدة لم أكن أفكر في إمكان منحها لك .

- أضحيح هذا ؟

جاءت إجابتها مصحوبة بابتسامة مقتضبة :

- شكراً على المجاملة . والآن سأذهب لغسل الأطباق قبل أن أذهب للنوم .

- حسناً ، إذن تصبحين على خير .

ثم قبلها فوق خدها هزت رأسها واستدارت بعيداً عنه وخرجت مسرعة .

أغلق "جوناثان" حقيبة أوراقه وهو مسرور وغير راض في آن واحد .

ملأت " سارة " في المطبخ ماكينة غسيل الأطباق ومزاجها معتل . كان لديها شعور بأنها تتصرف على عكس إرادتها . ومن الناحية العملية فإن الساعة ونصف الساعة التي قضتها في المناقشة مع "جوناثان " قد ساعدتها كثيراً . لقد أصبح لديها الآن فكرة أكثر وضوحا عن البعثة وعن المسؤوليات التي تتولاها والتي أصبحت أكثر واقعية .ثم كيف لها أن تشكر " جوناثان " على خدماته الجادة والمخلصة ؟

هل يكفي ذلك الحديث القصير حول الأغطية والمناشف ؟ من المؤكد أن هذا الرجل مثال الصبر .

بعد أن أخذت " حماماً " وخرجت من (البانيو) ألقت نظرة متوجسة ناحية حجرة "جوناثان " في الممر .كان النور مضاء . إذن فهو لا يزال مستيقظاً ظلت

عشر ثوان أمام الباب قبل أن تقرر أخيراً أن تطرقه . أصدر الباب صريراً وسمعته يقول :

- دقيقة واحدة .

عندما فتح لها الباب كان يلبس " بنطلون بيجاما" لونه رمادي ولا شيء آخر. أفسح لها الطريق كي تمر وألقت نظرة سريعة شاملة ، فلاحظت أن الوسادتين مقلوبتان والسرير غير مرتب ، وقد امتلأ بالأوراق والكتب .

وكان من الواضح أنه هو الآخر أخذ "حماماً " ، فقد كان شعره مبتلاً وتفوح منه رائحة الصابون .

كان جسمه رياضياً وقوياً لدرجة مذهلة ، وكان ذلك ظاهراً من عضلات خصره وصدره البارزة ومن أنفاسه العميقة . أسرعت الدماء في شرايين " سارة " .

وقالت له :

- أود أن أقدم لك أسفي . ويبدو أن لدي مشكلة في عدم استطاعتي الفصل ما بين علاقاتنا المهنية والشخصية وبدلاً من أن أظهر امتناني لكل ما فعلته من أجلي ، أظهرت ضيقي وأصبحت لا أطاق . أرجو أن تعذرني .

ابتسم " جوناثان " وقال :

- إن النساء دائما غير معقولات ، وفيما يخصني فإنني لا أنتظر سوى أمر واحد منك :

أن تفعلي ما أطلبه . كانت تعرف أنه يمازحها ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من رد الفعل العنيف :

- لحسن الحظ إنني أعرف أنك لست جاداً في كل ما تقول ، وإلا وجدت نفسك تنام وسط الثلوج في الخارج فتقدم منها خطوة وقال :

- من قال لك إنني لست جاداً فيما أقول ؟ على أية حال إنني لم ألق أية متاعب في معاملتي للرجال .

لم تتحرك " سارة " .

- حسناً ! لقد قدمت لك اعتذاراتي ، والوقت أصبح متأخراً يا "جوناثان " .

تحرك خطوة أخرى نحوها ، وأمسك بخصلة من شعرها ، ثم لفها حول إصبعه

www.elromancia.com

فقطبت جبينها .

همس "جوناثان" .

- إنني أحب رائحة معجون أسنانك . فهل بإمكاني أن أتذوقه ؟

كانت تنتظر منه ذلك . فماذا يمكنها أن تفعل إذن في هذه الساعة غير المتوقعة وفي تلك الحجرة مع ذلك الرجل ؟ خاصة وأنها وقعت في أسر العاطفة .

- هناك أنبوبة منه في حمامك ، إنه بطعم النعناع .

- نعم ولكنني لا أريد أن أتذوقه هناك ...

كانت نظرته شديدة الإلحاح ، حتى أحست بأنها تحرقها بعد أن اخترقت قميص نومها .

لم يسبق له أن عبر عن رغبته القوية بمثل هذه الجرأة .

قاطعته وهي تتراجع بسرعة :

- تصبح على خير .

لم يجد أمامه سوى أن يمد ذراعه ويمسك بها ثم يجذبها نحوه ، وعندئذ أخذ وجهها بين يديه وقبلها بحنان وبطء قبل أن يرفعها ثم يضعها أمام الباب ، وقال لها :

- تصبحين على خير .

ساد بينهما صمت ، وخرجت من الحجرة .إنه يشتهيها ، ولكن ذلك لم يمنعه من السيطرة على نفسه ، كانت أعصابه وإرادته من حديد .

هل من الممكن أن ينهار هذا الرجل ؟ كانت قوة تأثيرها عليه تبدو ضعيفة .

خلع "جوناثان" ملابسه في حجرته ، واستلقى فوق السرير كان من الظاهر أن "سارة" قد كشفت عن رغباته وآلامه النفسية ، ولكن في هذه اللحظة انتصر شكه وتمنعه ، لقد حان الوقت للتفاهم بينهما وأخيراً فتح أحد الكتب الموضوعة فوق الأغطية .

الفصل الثامن

بعد أن انتهت "سارة" من محاضرة الساعة التاسعة ، ذهبت إلى كلية الدراسات التجارية العليا وهي تحس بفضول لرؤية "جوناثان" وهو يعمل .

كان هدف المحاضرة إعطاء فكرة للطلبة عن إمكانات الأسواق قبل أن يوزعهم على مجموعات عمل صغيرة في يومي الجمعة والسبت بعد الظهر .

لمح "جوناثان" "سارة" فور دخولها قاعة المحاضرات ، فابتسم لها . فردت على ابتسامته ، ولكن نوبة الحرارة التي اجتاحتها ضاعت وسط حرارة القاعة.

كان من المفروض أن تنتهي المحاضرة عند منتصف النهار ، ثم يتناول "جوناثان" طعام الغداء مع زملائه وكان غير مشغول في فترة ما بعد الظهر ، قبل موعد "الكوكتيل" ثم يتناول العشاء عند "العميد" الذي كانت "سارة" مدعوة لديه هي أيضاً .

كان من الواضح أن "جوناثان" محاضر بارع ومؤثر .

وعندما انتهى من محاضرته ، أخذت عيناه تبحثان عن "سارة" التي أشارت إليه عن بعد برأسها كي تعبر له عن إعجابها به .

عادت بعد ذلك إلى مكتبها وهي آسفة كي تعمل مع طلبتها ، ووجدت "چيل" تتجول في معملها وكانت تستند إلى إحدى الموائد وهي تتحدث في التليفون .

وسمعتها تقول :

- اسمعي يا أمي .

إن أفضل ما تفعلينه هو أن تحضري إلى "المكسيك" كي تقابليني .

وأرجو المعذرة لأنني مضطرة للذهاب الآن ، حيث إن مديرة المعمل قد حضرت ... وأنا كذلك أرسل لك قبلة .. إلى اللقاء .

قالت "سارة" عندما انتهت "چيل" من المكالمة :

- شكراً للترقية .

بدأت "سارة" في تناول غدائها ، وكذلك فعلت "چيل" .

www.elromancia.com

كانت "چيل" شقراء صغيرة وبدينة ، ولها عينان خضراوان وكان ينظر إليها دائماً على أنها طالبة .

-أرجو المعذرة ، لأنني إن لم أستعمل هذا الأسلوب مع أمي لما استطعت إنهاء المكالمة قبل ساعتين على الأقل .وبعد .. قصي علي ما حدث بينك وبين "چوناثان" ؟

كانت "چيل" الوحيدة التي كانت على علم بالمفاوضات مع "چوناثان" مهما حاولت أن تخفي عنها عواطفها السرية .

والشيء الوحيد الذي كانت تجهله "چيل" هو جدول المواعيد السري للغاية والخاص بالبحرية ، حيث وجدت "سارة" أن الوظيفة التي تشغلها لا تسمح لها بذلك .

- حسناً .. سنصل إلى اتفاق شيئاً فشيئاً ، ولكن هناك بعض النقاط الغامضة بالنسبة للفريق .

وأخيراً فإنني أعتقد على أية حال أنني قد استرت كثيراً حول الموضوع .

قالت "چيل" وهي تبتسم :

- بالمناسبة .. لقد مررت هذا الصباح على كلية الدراسات التجارية العليا .

لم يظهر العزيز "چوناثان" أنه بارع فحسب ، ولكنه أيضاً جميل ووسيم وكأنه أحد آلهة الإغريق .إنك لم تخبريني عن ذلك يا "سارة" ، بالمناسبة هل تخفين عني شيئاً ؟

اعترضت "سارة" وهي منهمكة في تناول "الساندويتش" :

- هل تعتبرينه وسيماً ؟ لم ألاحظ ذلك شخصياً .

- يا "سارة" !

انطلقت "سارة" ضاحكة .

- حسناً . حسناً .. إنني أتفق معك . لقد لاحظت ذلك .

ولكن العكس صحيح بالنسبة لي، فهو لم يعرني أي انتباه ، أتتصورين هذا؟ إننا لا نكف عن الدوران حول بعضنا البعض ، وكأننا مصارعان فوق حلبة المصارعة .على الأقل أجد نفسي حذرة معه دون أن أتعمد ذلك .

وعلى أية حال إنني لا أصل أبداً إلى تقرير ما أريده .

- حسنا ! أرسليه لي ، فإنني أشعر بالجنون لأنني وحيدة هذه الأيام ...

- يا كاذبة! ... لا يوجد - بالنسبة لك - من هو أكثر وسامة وذكاء من عزيزك "ديفيد فيرجسون" وإني لأتساءل :ماذا تصنعين كي تظهري هكذا ؟ هل هو حلم بالنسبة لك ؟

اعترضت "چيل" قائلة :

- امنحي لنفسك فرصة . لقد أعطيت في زواجك كل شيء لـ "هومير" دون مقابل ، وقد آن الأوان أن تستأنفي حياتك بقدم ثابتة .

وقضمت قطعة من "التفاح" ، واستأنفت حديثها :

- إذا كان "چوناثان هيلي" يعجبك ، فانتهزي هذه الفرصة ولا تضيعيها .

هزت "سارة" رأسها وقالت باستخفاف :

- إن "چوناثان" لا يأخذ علاقتنا مأخذ الجد ، وهو أمر لا بأس به .

- فهمت .. إنك تريدين تغيير الموضوع ،وبهذه المناسبة أخبريني إلى أين وصلت المفاوضات من أجل القاعدة التي يجب أن نقيمها في جزيرة "النمر" وأحب أن يلحق بي والداي هناك في عيد الفصح .

قطبت "سارة" جبينها :

- في فندق "روسيل" كل شيء لابد من تأجيره ،ومن جهة أخرى فإنه لم يعطني الإشارة الخضراء .

- وهو لم يرفض في نفس الوقت .

- ولكني لم أستطع الاجتماع به . وفي رأيي أنه لا يجرؤ أن يقول صراحة ليس لـ "چوناثان" وإنما يفضل أن يتركنا للشيطان .

- إذن اجعلي "چوناثان" يتدخل ، لأنك تعرفين أن إنشاء قاعدة بعيدة سيضاعف من التكاليف .

وعدتها "سارة" بتبني اقتراحها ، وسارعت بالعودة إلى منزلها ، فوجدت "چوناثان" أمام المنزل وقد ارتفع الثلج حتى ركبتيه .

كان يرتدي بنطلوناً من "الجينز" وحذاءً ذا رقبة ، ولبس معطفاً ضد المطر .

www.elromancia.com

كانت الابتسامة تعلو شفتيه وهو يلوح إليها بحركات سريعة ..

– هيا تعالي ساعديني ... إنني أعشق هذا المكان .

لم تتذكر " سارة " آخر مرة لعبت فيها بكرات الثلج ربما يرجع ذلك إلى أيام أن كانت طالبة وقبل أن تنتهي علاقتها مع "هومير " إلى الزواج .

– لابد أولاً أن أبدل ملابسي .

– أنا في انتظارك .

ظهرت مرة ثانية وهي ترتدي معدات التزحلق على الجليد .

كان "جوناثان " يلعب بإلقاء كرات الثلج على إحدى أشجار البلوط .

صاح عندما رآها :

– ها هي ذي سيدة الجليد ! هل تعرفين أن مكانها يقع على بعد ثلاث خطوات خلف الرجل .

– حقا ! وكم يكون متوسط طول خطوة سيدة الجليد ؟

– متراً بالنسبة للرجل ، وستين سنتيمتراً بالنسبة للمرأة .إنها أصغر منه وأقل منه قوة ، وكذلك أقل منه ذكاءً ، ولكنها في نفس الوقت أذكى منه ، لأنها تطلب حمايته ومن المفهوم أن ذلك لا ينطبق على كل الجنس البشري .

– من الواضح أنك لن تجرؤ ..

اقترب من شجرة الصنوبر وهو يصفر ويجمع بعض الثمار والأغصان ، بينما انشغلت " سارة " في عمل تمثالي رجل وامرأة من الثلج .

وأخيراً أخذا يتأملان عملهما وقد لهثت أنفاسهما من التعب والإعجاب .

قال " جوناثان " .

– والآن .. ماذا بعد ؟

نظر إلى " سارة " نظرة ذئب جائع ، فتنهدت :

– بصراحة إنني خائفة بعض الشيء مما تخفيه خلف سؤال "وماذا بعد " ؟

أمسك ذقنها بيده التي يرتدي القفاز فوقها وقال :

– بعد ذلك نلعب لعبة ." أنت تختفين في القلعة وأنا أهاجم " .

لم يكن صوته يعلو عن الهمس ، بينما اقتربت شفتاه من شفتي " سارة " .

فكرت " لا ... إن الرجل الذي ينظر إلى المرأة بهذه الطريقة لن يضيع دون شك وقته في لعب لعبة رعاة البقر والهنود الحمر .. لا شك أن هناك خطة هجوم خفية".

– لاشك أنك تلاحظين أنني قد تركت لك ميزة إعطائك القلعة ، وإذا لمستني، فسأتراجع ، وإذا لمستك فسأتقدم .. موافقة ؟

– موافقة !

ووضعت ذراعيها في خصرها وقالت له :

– وماذا أجني لو ربحت أنا المعركة ؟

تظاهر بأنه لم يسمع السؤال .. وأكمل :

– وفي النهاية ستضطرين دون شك أن تستسلمي ، وإذا وضعنا في الاعتبار قوتك البدنية ، فهو أمر محتم .وأحب أن أحذرك مقدماً ، فإن الهنود الحمر في هذا الجزء من البلد لا يعرفون الرحمة .وهم رجال جليد مدنسون ومغتصبو نساء.

طبع قبلة خفيفة على شفتيها وأكمل .

– ولقد شوهدوا وهم يسحبون النساء المجندات خارج قلاعهن ، للاستفادة منهن على الأرض المفتوحة ، وكل مقاومتهن تصبح بلا طائل .

طبع قبلة ثانية خفيفة ، فأغلقت " سارة " عينيها وأحست بأنفاس "جوناثان" الدافئة والرطبة على وجهها ، ولكنه لم يتجاوز حده .أخيراً تركها ورجع خطوة للخلف ، وعندما فتحت " سارة " عينيها ضبطت ابتسامة لاذعة على وجه "جوناثان " فاقسمت أنه لابد أن يدفع ثمنها في الحال.

وأخذت قبضة من الثلج المكوم على رجل الثلج الواقف أمامها ووضعتها في جيبها ثم استدارت ناحية "جوناثان " وقالت له :

– أرجوك يا "جوناثان " ! ... ليس لدي الرغبة في اللعب بعد ذلك. وأرجو أن تصحبني إلى المنزل .

– افعلي بي ما تشائين يا عزيزتي .

أخذها بين ذراعيه ، ودفن وجهه في عنقها وقال :

– إنني أحس وكأن الجو قد أصبح استوائياً .

سرت حرارة لذيذة في رقبتها من لمس شفتيه وانتقلت بعد ذلك إلى كل جسدها .

وكان يجب عليها أن تركز تفكيرها على تنفيذ عملية الانتقام .

فنطقت اسمه بصوت هامس ، وأدخلت يدها العارية داخل معطف المطر ، كي تدلك ظهره وصدره . وكانت القبلات السريعة التي أمطر بها رقبتها قد شغلتها بعض الوقت عن هدفها .

ولكنها كانت عنيدة إذا صممت على شيء ، فغمغمت وهي تشد السويتر كي تنزعه عن "البنطلون" الجينز .

– إنك تجعلني كالمجنونة ! .

وكانت إجابة "جوناثان" غير متوقعة ، إذ قبل خدها وأخذ يبحث عن فمها ، بينما أخذت يد "سارة" تزحف نحو جلده العاري ...

وفجأة صرخ صرخة عالية ، عندما أحس بشيء بارد ومبلل قد التصق ببطنه

بينما كان يقفز بشدة ويهز "السويتر" ، ولم تتمالك نفسها من الضحك ، سألته وهي تشهق :

– هل تتألم ؟ في الحقيقة يا "جوناثان" فإنه بالنسبة للعبتك "الهنود ورعاة البقر" ...

وكانت تضحك عالياً حتى اضطرت للتوقف عن الحديث .

قال غاضباً :

– اتفقنا .. إن الهنود يواجهون مشكلة ، ولكن الحرب هي الحرب يا صغيرتي والهجوم المضاد لن يتأخر .

اقترحت "سارة" عليه أن يبدأ من الأول :

– إنك أنت الذي وضعت قواعد اللعبة ، وأنت الذي انتهكتها ، وهذا أمر سيئ ، ولقد تلقيت عقابك .

والآن دعنا نشيد القلعة ، كما أريد أن أعرف ماذا سأجني عندما أصدك ؟

بدأ العمل معاً في إنشاء القلعة الثلجية وسألها "جوناثان" :

– ماذا تطلبين كجائزة ؟

– قالت مائة ألف دولار إضافية من أموال "مؤسسة هيلي" .

– اتفقنا ، وذلك مقابل تقديم باقة من الورود كل يوم اثنين حتى موسم الربيع.

– حسنا . وما الذي ستحصل عليه لو أنك ربحت ؟ قبلة ؟

– إنها قبلة غالية .

– الرجل المهذب لا يناقش الثمن .

– إنني لا أناقش .

عندما قامت المعركة بعد أن جمعا مخزونا كبيراً من العتاد ، أخذ كل منهما يدافع عن ساحته بحماس .

ولما كانت "سارة" متدربة على الرياضة وعلى الغطس ، فقد أظهرت براعة أمام "جوناثان" وعرف أنه من الصعب التغلب عليها .

ولكنهما نسيا قواعد الكر والفر أخيراً ، وأعلنا الحرب الشاملة .

وكانت "سارة" تحتمي خلف جدارها الثلجي وقد اختفت تماما بحيث أمكنها خداع "جوناثان" ، وعندما بدأت تحركها في القلعة كي تقيم استحكامات ، هجم مباشرة على الجدار الذي انهار في الحال .

ولم تفلح محاولة "سارة" للهرب ، حيث أمسك بها "جوناثان" بعد بضع قفزات، من أسفل سترتها فتحت (السوستة)، فانتزع السترة ، وأصبحت حرة كما يحدث في أفلام السينما .

ولكن لسوء الحظ لم يفلح ذلك ، فقد أمسكها من خصرها ورفعها كالريشة في الهواء ووضعها فوق كتفه ، تماماً كما فعل "روبرت ميتشوم" مع "مارلين مونرو" في فيلم "نهر بلا عودة" .

أخذت تصارع ، وهما متجهان ناحية المنزل ، وحاولت أن تضع قدميها على الأرض ، ولكن "جوناثان" كان شديد الصلابة . فقال :

– خذي الأمر بروح رياضية يا "بايرز" ، لقد هزمت بالضربة القاضية .

– إطلاقاً ! لقد كنت مستمراً في التقدم رغم أن كراتي كانت تصيبك ، وهذا ضد القواعد .

– الحرب خدعة يا عزيزتي المسكينة .

www.elromancia.com

وضعها في تلك اللحظة فوق أرض مغطاة بالجليد الطازج ، ثم ألقى بنفسه بجانبها ومد ذراعه كي يمنعها من الهرب .

– والآن .. يجب عليك الدفع يا عزيزتي . هل لك أمنية قبل البروفة النهائية؟

– على أية حال أريد أزهاري ..

– اتفقنا .

خلع قفازيه ، وأخذ يجري بأصابعه على وجهها الذي كان ينظر إليه بتمعن .لم تعد هناك جدوى من المقاومة . ولماذا المقاومة ؟ إنها تحس بالسعادة .

همس في أذنها قائلاً :

– في رأيك ... هل أقبلك ؟

أجابته وهي تغلق عينيها :

– نعم ! أرجوك .

طبع قبلة خفيفة كالريشة فوق شفتيها ووجهها وشعرها .

قالت بسخرية :

– لقد وعدت بأفعال عنيفة إذا انتصرت ، ولكني أجدك الآن مهذبا للغاية .

– هذا يرجع إلى تربيتي البريطانية .

ثم انقلب على ظهره وجذبها ناحيته ، فوجدت نفسها بين ذراعيه ، قالت له بعينين شبه مغلقتين :

–أنت تعرف أن بإمكانك أن تفعل بي ما تشاء .

اندفعا في عاطفتهما ونزوتهما . أحست " سارة " لأول مرة في حياتها باللذة الطبيعية ، ولم تستطع أن تقف اندفاع عاطفتها .

بدأ "جوناثان" يفقد سيطرته على نفسه ، فاستمر في تقبيلها وتدليلها .

وعندما أفاقت إلى نفسها ، وجدت وجهها مدفوناً في رقبته :

همست :

– إنني يائسة .

أزاح خصلة من شعره ، ثم رفع رأسها وقال :

– ولماذا هذا اليأس ؟

– لم يقبلني أحد في حياتي بهذه الطريقة ، وأنا على يقين من أنني لم أفعل هذا منذ كنت طالبة بالمدرسة .

ابتسم ، ثم انطلقا في الضحك ، وصاح "جوناثان" وهو يساعدها على النهوض :

– هيا بنا نسرع ، فهناك عشاء فاخر في انتظارنا ..

ولقد أفسدنا " الكوكتيل " ، وهناك أيضاً تلك الرياضة العنيفة التي مارسناها ، ونحن الآن في حاجة ماسة إلى استعادة قوتنا .

حمدت له " سارة " إقلاله من شأن تلك الحادثة باستخدامه لهجة مرحة في الحديث .

واقترحت أن يذهب كل منهما بمفرده إلى " العميد " لكي تتيح لنفسها الوقت الكافي لتبديل ملابسها .

ولكنه أصر على انتظارها .

صعدا معاً إلى الطابق الثاني ، وهناك قبلها "جوناثان" أمام الباب .

استدارت في اللحظة التي كان فيها "جوناثان" يتأملها قبل أن يدخل حجرته وقال لها برقة :

– إلى اللقاء هذا المساء .

ثم دخل غرفته .

الفصل التاسع

كان "جوناثان" على العكس من "هومير"، الذي لم يكن يعرف المجاملة، بينما كان الأول شهماً ومستعداً لتقديم العون وشديد الاهتمام، قدمها إلى زملائه وجعلها تشترك في أحاديثهم دون أن يتيح الفرصة لأحد أن يشك في العلاقة بينهما.

بعد حوالي عشرين دقيقة توارت عن أنظاره كي تتيح له الفرصة للحديث عن أعماله مع معارفه إذا ما كان يرغب في ذلك.

وعندما التقيا مرة ثانية وجهت له ابتسامة، كان من الممكن أن تحطم كل احتياطاتهما حول إخفاء العلاقة بينهما لو لاحظها أحد.

قدم العشاء على شكل "بوفيه" خدم المدعوون أنفسهم، وقد جلسوا سعداء أمام ست موائد للطعام، بينما جلس "جوناثان" و"سارة" على المائدة الرئيسية بجوار العميد.

وقد سار الحديث سيراً حسناً، وكان سلساً وقد تميز بالمودة، ودار الحديث حول الأحداث الجارية، وأخر الترقيات والتعيينات بالجامعة.

وهو أمر يهم الجميع ورغم كل شيء لم تصل "سارة" أبداً إلى نسيان أمسية "جوناثان" وتساءلت كيف سينتهي ذلك اليوم؟

كان من الضروري أن تشرح له بعض تفاصيل حياتها الخاصة التي لم يكن أحد حتى أصدقائها المقربين يعرف أي شيء عنها.

وكان يجب عليها أن تتوقع احتمال اضطرارها إلى الإجابة عن أسئلة محرجة، وكان مجرد التفكير في ذلك يجعلها تتصبب عرقاً بارداً.

كان العميد يجلس قريباً منها، وسألها عن أحوال عملها وكيف يسير، وعما إذا كانت فرحة باستمرار مشروعها ...

وعندما كانت تخبره بأدق التفاصيل الممكنة تبين لها وهي متضايقة إلى حد كبير أنها قد بدلت وضعها الاجتماعي كزوجة لـ "هومير" مقابل أن تكون تحت

حماية "جوناثان هيلي".

عندما حان وقت تناول القهوة جاء أحد خدم العميد ليخبر "جوناثان" بأنه مطلوب على التليفون.

عندما عاد إلى "الصالون" أخبر "سارة" أنه يجب عليهما الرحيل بسرعة، لأن أحد العملاء علم بإشاعة قد تؤثر على البورصة، وأنه يجب عليه التأكد من ذلك في الحال. وما إن أصبحا في السيارة التي قام "جوناثان" بقيادتها، حتى قدم إلى "سارة" مفكرة وقلماً وطلب منها تسجيل بعض الملاحظات. فكتبت سلسلة من الأسماء والعبارات لم تكن لها معنى عندها، ولكنها ستساعد "جوناثان" كثيرا في ترتيب أفكاره، قبل أن يرفع سماعة التليفون انبهرت "سارة" وهي تراه يعمل، وكانت إثارتها تتصاعد دقيقة بعد أخرى، عند فكرة اشتراكها في مغامرة جديدة: لم يكن في هذه اللحظة نفس الرجل.

عندما وصلا ودخلا القاعة، ألمحت له "سارة" أن متابعة أنباء البورصة قد أنسته وجودها، ولم تكن إجابته في شكل كلمات، وإنما جذبها بعنف، وقبلها بشراهة جعلت الشابة تطمئن على وضعها ومع ذلك دفعها وهو آسف وغمغم:

- أولاً المكالمات التليفونية.

كانت هناك وصلة للتليفون في حجرة الزوار، وأخذت "سارة" تبحث عن واحدة أخرى في حجرة المكتب. وعندما عادت كان "جوناثان" جالساً فوق السرير وقد خلع رباط عنقه وفك أزرار قميصه. وسألها:

- هل بإمكاني أن أطلب منك خدمة أخرى صغيرة؟

فهمت "سارة" مقصده في الحال:

- أعتقد أنك تريد قهوة؟

- بالضبط .. إنك ملاك.

تردد .ثم أكمل:

- هذا نوع من الطلبات التي كانت تثير "كلير" قالت "سارة" وهي تبتسم ابتسامة غامضة:

- لقد تعودت على مطالب "هومير"، سأحضر لك براد القهوة، وسأظل

بجوارك .

ولم تحضر القهوة فحسب ، وإنما أيضاً بعض الفطائر ،وعندما دخلت الحجرة كان "چوناثان" يجري اتصالاً تليفونياً ، وهو يكتب ، كالمجنون فوق كراسة مذكرات صفراء . قدمت له قدح القهوة وكانت على وشك الابتسام عندما وقف عن الكتابة وأمسك بمعصمها وأجبرها على الجلوس فوق السرير بجواره . كان يقول في السماعة :

– نعم . لقد تحدثت معه في الأسبوع الماضي ومن المؤكد أنه متفق معنا على الاشتراك في تلك الصفقة .

ثم وجه ابتسامة لـ " سارة " وترك معصمها ، وكتب على ورقة " إنني أحس بالوحدة . وأرجوك أن تظلي بصحبتي" فردت عليه بنفس الطريقة " نعم " ولكني سأشغلك ." فكتب " چوناثان " على الورقة :

– "هذا أفضل " ثم أكمل حديثه التليفوني :

– يجب ضبط الأسهم وفقا لمعدل الصرف الجديد .ولكننا غير متأكدين من شيء في هذه اللحظة .

ثم أكمل الكتابة إليها " هذا المخلوق مزعج وممل للغاية ، حتى إنه يمكن أن يسبب النعاس لطفل في حالة صرع ." ثم أكمل المكالمة :

–إنني أفهم تماماً ما تعنيه يا "بيتر"...لقد أدرت هذه العملية بحذق بالغ.

قال لها :" ولكني أناوره بطريقة صحيحة ، حتى يمكن أن أحصل منه على المعلومات التي أبحث عنها دون أن يشعر بذلك ".

وضع كراسة المذكرات والقلم ، وتناول قدح القهوة وابتلعها بسرعة . ثم مد يده وبدأ يدلك مقدم عنق " سارة " وكان لهذه الحركة تأثير بالغ عليها ، ولكن بالنسبة له فإنه لا يهتم بلا شك ، وإنما كان يركز اهتمامه في المكالمة التي كان يجريها :

– ولكن نعم يا " بيت " .. لقد وضعناه تحت أنظارنا .

وبدأ يلعب بالزر الأول من " بلوزتها " . رفعت " سارة " رأسها بسرعة ، وكان بصرها شارداً ، بينما كان " چوناثان " يؤمن على كل ما يقوله المدعو "بيتر" ثم فك الزر الثاني ، ثم الثالث .

أخذت " سارة " تشاركه كي تثير انتباهه ، ولكنه أتى بحركة مفاجئة بيده يأمرها فيها بالسكوت . كل ذلك وهو يحادث " بيتر " اضطربت " سارة " وتركته يحل أزرار تنورتها .

بدأت الرغبة تتملكها ، ولكن أدهشها أنه كان موزعاً بين مكالمته التليفونية وبين مداعبتها ، وفجأة نهضت وفتحت عينيها ، لم يتغير فيه شيء ، كان دائماً ينظربعيداً ، وقد انهمك تماماً في محادثته ، وقبل أن يتوافر لها الوقت كي تتصرف أمام هذا السلوك . ضمها بعنف ورغبة وأخذ يداعب صدرها .

شعرت بالخجل ، وأطرقت برأسها ، وهي تعلم أنه يلعب بعواطفها . ولكنها لم تحاول أن تمنعه .

وضع الورقة والقلم ، ثم بدا موزعاً بينها وبين " بيتر " ، وفجأة تناولهما ثانية، ففهمت أن "بيت " أعلن خبراً مهماً ، حيث أخذ " چوناثان " يكتب بسرعة هائلة ، ووجدت " سارة " أنه انزلق في عالم آخر لا مكان لها فيه ،بل إنه لم يلاحظ أنها شبه عارية .

انتظرت دقيقة ، ثم ارتدت ملابسها ، ونهضت من جواره . همس لها .

– انتظري دقيقة .

جذبها ناحيته ، وأجلسها فوق ركبتيه ، وقال :

– أوشكت على الانتهاء منه . وخلال عدة دقائق سيقول ما أود أن أعرفه منه وسألحق بك بعد ذلك مباشرة . هيا اذهبي .

قالت له " سارة " وهي تبتسم ابتسامة لاذعة :

– اتفقنا .

تمنت له حظاً سعيداً ، ثم اتجهت ناحية الباب وعندما استدارت ، كان "چوناثان" يكتب وقد ركز انتباهه على ما يقوله محدثه .

لقد أثار مشاعرها بطريقة حاذقة لدرجة أنها ظلت عصبية حتى بعد أن بدلت ملابسها ورقدت في سريرها . وبينما كانت تنتظره ، اضطربت وهي تسترجع مناظر ما حدث عند التليفون . مرت الدقائق وقد زادت مخاوفها ، لم يتغير في الحقيقة شيء . ولو كانا قد مارسا الحب في الحال لما اختلف عندها الأمر،

www.elromancia.com

ولكنهما تواعدا فقط . إذن فلابد له أن يفسر لها مسلكه هذا فقد ازداد عدم شعورها نحوه بالأمان .

غرقت في النعاس ، ثم استيقظت فجأة ونظرت إلى الساعة ، ثم دفنت وجهها في الوسادة ، وذهب عنها النعاس ، وعند منتصف الليل تساءلت كيف وصل بها الجنون أن تدع "جوناثان" يصل معها إلى هذا الحد ؟

عندما طرق الباب ، كانت الساعة الواحدة صباحا ، فجأة أحست "سارة" بالقلق يستبد بكل كيانها ، فلم تجب . فتح الباب وتقدم للداخل وهو ينادي اسمها برقة ، كان مرتدياً بنطلوناً دون فانلة داخلية ، وكان صدره عارياً ، ولكن ذلك أصابها بالبرود :

– "سارة" ! ... أعرف أنك مستيقظة ، وأحس بنظرك مركزاً علي.

–اذهب أرجوك !

ولكنه جلس بجانبها على السرير وقال :

– أنت ثائرة علي وأنا أعذرك ... لم يكن من الضروري أن أعمل كل ذلك الوقت .

– إنني متفهمة تماماً لكل ما يتصل بعملك ، ولكن الأمر باختصار أنني لا أرغب في النوم معك .

– "سارة" ..يا حبيبتي ! .. أعدك أن أكون لطيفاً وحنوناً وصبوراً ... وأنفذ كل مطالبك .

– لا أريد منك شيئاً .. اذهب وحاول النوم .

تعجب وهو يفكر : "سارة" تلك المرأة الساحرة ، بل أجمل امرأة في العالم ، وأكثرهن ذكاء ، وإغراءً ، والتي لم يقابل مثلها منذ سنوات طويلة .. تصده الآن وهو لا يحتمل ذلك . سألها متوسلاً :

– ولكن ..لماذا ؟

– لقد غيرت رأيي . لعلنا تعجلنا بعض الشيء .. وأنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر ، وأرجو ألا تحرجني .

ولم يجرؤ أن يأخذها بين ذراعيه ، حتى لا تسيء فهم حركته . فتنهد وقال :

– حسناً .. حسناً .. إنني أطيعك .. وإذا احتجت إلي ، فأنت تعرفين أين

تجدينني .

قبلها فوق جبهتها ، وتمنى لها نوماً هادئاً .

وعندما أغلق الباب ، أخذ كل جسدها يرتعد ، وأحست بأنها مذنبة تماما في طرده ، وكانت فكرة مواجهته في الغد قد أصابتها بالسقم .

لماذا تصرفت هكذا ؟ إنها لا تستطيع أن تفهم نفسها

* * *

عندماخرجت "سارة" من الحمام في اليوم التالي كان "جوناثان" ينزل الدرج ومعه أمتعته ، وكانت الساعة الثامنة والربع بينما كان موعد محاضرتها العاشرة، جرت "سارة" وراءه وأمسكت بذراعه :

– هل ترحل مبكرا هكذا يا "جوناثان" ؟ ستتناول فطورك .. أليس كذلك ؟

استدار ونظر إليها ، وهو يقول :

– صباح الخير . ما رأيك في أن أعد لك بيضاً مقلياً وشاياً ساخناً بينما تقومين أنت بتجفيف شعرك ؟

ابتسمت له وهي تشعر نحوه بالعرفان التام ، لأن تصرفه هذا لم يكشف عن أي شيء بخصوص ما حدث بينهما في الليلة الماضية :

– اتفقنا . سأحضر في الحال .

لاحظت "سارة" تماما أن سلوك "جوناثان" الممتاز ، إنما هو أمر طبيعي تعلمه منذ الصغر ، لقد علموه أن أفضل وسيلة للتغلب على موقف محرج هو التظاهر بأن شيئاً لم يحدث ، ولكنه لم يكن في أدبه قد وصل إلى الحد الذي وصلت إليه جدته "ميريك" ، التي ضبطت لصاً في منزلها فحيته بأدب ومودة وقالت له : إنها أمسية رائعة .. أليس كذلك أيها الشاب ؟

والحقيقة أن "جوناثان" أحيانا ما يجد نفسه هو أيضاً يرغب في إلقاء الأسئلة، وطلب التفسيرات . كان واثقاً بنفسه فيما يتعلق بالنساء ، ولكن صد "سارة" له أصابه في مقتل . ربما كانت ثائرة بسبب طول مكالماته التليفونية ؟ أو أنه بدأ مشروع إغرائها ، ولم يستمر فيه حتى النهاية ؟

إلا أنها عندما جاءت عدواً وانحنت فوق سور الدرج ، ورأى وجهها ، أوحى له

www.elromancia.com

ذلك بأشياء أخرى ، فمن ناحية لم يكن مهملا لها ، ومن ناحية أخرى فإن أسباب ردود فعلها كانت معقدة جداً أكثر مما ظن لأول وهلة .

عندما دخلت " سارة " ، كانت رائحة البيض بالبصل تفوح من الطابق الذي كان بانتظارها فيه ، كما وجدت طبقاً به عش الغراب ووجدت بجانبه إناء مملوءاً بعصير البرتقال ، ملأت كوباً كبيرا ، وتحدث معها ، عن صفقة البورصة ، وفجأة ألقت عليه " سارة " تلك الأسئلة المتلاحقة التي كانت تجيدها :

– إذن لأنني أمثل لك تحديا فقد اهتممت بي ؟

كان مسلكها هذا يفاجئه دائما ، حتى ولو كان يحاول إخفاء ذلك:

– لا .. بدون شك .

– إذن لماذا ؟

– لأنك جميلة جداً ، وذكية ، ومغرية ، وتسعدني صحبتك ، وبصراحة لا أجد غرابة في ذلك .

صمت برهة ثم أضاف :

– وأنا حزين حقاً ، لأنك لا تعرفين تماماً ما تريدين ، لأنني لا أجد مشكلة في هذا .

– اشرح لي ما تقول ..

أحس "چوناثان" وكأنه في مؤتمر صحفي ، أمام صحفية لحوح ، فكان الأمر يتطلب منه أن يناور ببراعة :

– إنني أرغب في ممارسة الحب معك .

لم يكن – بهذا – قد أتى بجديد ..

– والآن .. اشرحي لي سبب ما حدث ليلة أمس .هل ذكرتك بـ "هومير" ؟ أم لم أذكرك به إلى الحد الكافي ؟ أم أنك لم تكوني على استعداد ؟أم أنك لا تميلين نحوي بما فيه الكفاية ؟

خفضت " سارة " وجهها نحو ضيفها وقالت :

– الافتراض الأخير غير صحيح .

– أه ! إنك لم تنتهي من أكل نصيبك من البيض ؟

– لا .. إنني لا أشعر بالجوع .

– إذن ناوليني طبقك .

وجه إليها ابتسامة بريئة وهو يقول :

– إن الرغبة التي لم أشبعها دائماً ما تفتح شهيتي .

احمر وجه " سارة " .. وكتمت ضحكتها فقد كانت فكاهات " چوناثان " تربحها دائماً ، وتجعلها قادرة على الحديث .. واصل حديثه قائلا :

– أما فيما يخص حياتي : فلقد تعذبت بما فيه الكفاية من العيش بمفردي ، وليست لدي الرغبة في هذه اللحظة ، أن أبدلها مقابل عبء جديد ، أما بالنسبة لليلة الماضية .. إيه ... فإنني أقدم لك اعتذاراتي .. هل اتفقنا ؟

– لا .. ليس تماماً . هناك أمور حول زواجي لم أخبرك بها .. لدي ... ذكريات سيئة .. ويجب علي أن أبتعد عنها أولاً ، وأنساها ، كان "چوناثان" يرمقها وهو مضطرب ، ومشوش الفكر ، وفجأة اعتقد أنه فهم :

– هل .. اغتصبك يا " سارة " ؟ أم ضربك أم اضطرك لفعل أمور ..؟

هزت رأسها بالنفي :

– لا .. إطلاقا .. أرجوك أن تنسى ذلك الآن .

كان الأمر بالنسبة لـ "چوناثان" لا يقبل الشك لابد أن " الفاريدو " قد آذاها بطريقة ما ! ولكن كيف حدث ذلك ؟ لابد له أن يعرف .

– هل كان عاجزاً ؟

– ليس بالضبط !

نهضت وهي خجلة ومتضايقة ، وبدأت ترفع المائدة ، وقطبت جبينها عندما سمعت " چوناثان " ينهض ، أحست بذراعيه حول خصرها ، وحاول أن يديرها لمواجهته .

– " چوناثان " ! .. أرجوك .. حاول أن تفهمني .. من الصعب علي ..

– صه .. إنه موضوع بيني وبينك ، وزيارتي لك لم تنته كما كنت أحب ، وأريد أن أسترد الأشياء التي تركناها . والمرة القادمة سنرى ماذا سيحدث . وإذا كان ذلك يزعجك .فأرجو أن تكوني صريحة وصادقة ، وأن تخبريني بذلك .

www.elromancia.com

همست " سارة " وهي تضحك وتنظر بعيداً :

- آه .. لو كان الأمر يتعلق بهذا .. لأمكنك استئنافه في الوقت الذي ترغبه.

انطلق في الضحك ثم قال :

- شكراً لك على كل حال !

- " جوناثان " ..

- لا .. لا تقولي شيئاً . هيا أعطيني قبلة الوداع .

ولكن .. الساعة لم تتجاوز التاسعة .

- تماماً .. ويمكنك تقبيلي ثانية بعد عشرين دقيقة فتحت ذراعيها والتصقت به، ثم بحثت عن فمه وتعانقا فترة طويلة ، وهي تترنح قليلاً ، وقد ران عليهما صمت لا يقطعه سوى صوت أنفاسهما . قالت له " سارة " عندما افترقا :

- هل ترغب في قدح قهوة صغير قبل الرحيل ؟

- موافق .. قدح قهوة صغير ..

عندما نهض ليستأذن في الرحيل .. وعدها بالاتصال بها عندما يحدث جديد بالنسبة لموضوع " روسيل " .

ثم رحل دون تأخير !

الفصل العاشر

وصلت إلى " سارة " أول باقة من الورود يوم الاثنين ، بعد ثلاثة أيام من رحيل "جوناثان" ، حررت " سارة " له خطاب شكر مليئاً بالثرثرة والذكريات حول ما نشرته الجريدة المحلية من وقت لآخر .

إنها لم تصد " جوناثان " ولم تدعه في نفس الوقت للاقتراب منها .

ثم وصلت في يوم الاثنين التالي الباقة الثانية ولكن "جوناثان" لم يحاول اللحاق بها ولا الردعلى خطابها . وكان من الواضح أنه مشغول تماماً بصفقة البورصة، حتى لم يعرها انتباهه .

وتساءلت مع ذلك بصبر نافد ، عما إذا كان قد تكلم مع "روسيل" أم لا ؟ وقاومت رغبتها في الحديث معه تليفونياً ، وافترضت أنه لو كان لديه جديد حول ذلك الموضوع لأخبرها بذلك في حينه .

وصلها الرد بعد ثلاثة أيام في صورة مكالمة تليفونية في ساعة متأخرة من الليل. أخبر "جوناثان" " سارة " بأن " روسيل " قد أعطاه حبلا كي يقيده به ، ولم يكن يظن ذلك من قبل ، ولكن ابن عمه في نفس الوقت انتهى بالرجوع إلى عقله. وأصبح من الضروري أن تحضر " سارة " بسرعة إلى " نيويورك " كي تحل بعض المشاكل التي حددها بقوله :

- يجب أن يكون ذلك ما بين الرابع عشر والسادس عشر من الشهر الحالي ، وهي العطلة الأسبوعية الوحيدة التي يمكن فيها لقاء " روسيل " .

تعالي معي إلى مقاطعة " بوتنام " ، حيث تمتلك الأسرة أرضاً هناك وفيها يجتمع كل أبناء العم مرتين للمرح والتسلية ، وكذلك لتقرير بعض الاستثمارات ، وسيتاح لنا كل الوقت اللازم للحديث .

وكانت " سارة " في مكتبها ، فدرست جدول مواعيدها .

- إن لدي ارتباطات مع طلبتي ، وسألقي محاضرة يوم الأحد . أليس من الممكن ترتيب ذلك بالتليفون ؟

www.elromancia.com

– مستحيل ! يبدو أن " روسيل" يفكر في أن حضورك قد يقلب جو الجزيرة رأساً على عقب ، ولكنه بدا أقل تشدداً عندما أخبرته أنك ستخلقين فرص عمل لأهل الجزيرة ، فقد وجد بعض العاملين أنفسهم بدون عمل عندما أغلق ورشة النسيج وقد أحس بالذنب نحوهم .

فكرت " سارة " لثانيتين . كانت تتخيل أن تجد نفسها وسط عائلة " هيلي " وفي ممتلكاتهم وقد أصابتها بالرعب . فاقترحت عليه قائلة :

– ولو حلت "چيل" محلي ؟ فهي قبل كل شيء ستكون مكلفة بتجهيز القاعدة .

– حسناً . أخبريها أن تتصل بـ "چودي" لتحديد ساعة وصولها بالطائرة . وسيذهب " چورج " لإحضارها من المطار ، وسنلتقي في " بوتنام " .سكت لمدة ثوان ثم قال :

– للأسف إنك لن تكوني رسولة المشروع .. أجابت " سارة " بلهجة استخفاف وهي ترفض أن تغامر على أرض زلقة :

– سنلتقي في الخليج الشهر القادم ..

– بالضبط .. خاصة وأن لدي النية في أن أقضي الأيام الأولى من البعثة معك .

بعد أن أغلقت الخط ، اتصلت بـ " چيل فيرجسون " وحددت موعداً معها في اليوم التالي ، كي تضع معها خطتها . وعندما طارت " چيل " في الأسبوع التالي كانت محملة بأطنان من المستندات والعديد من المجادلات وهي مستعدة لدخول المعركة .

لم تتصل "چيل" بـ "سارة" إلا بعد ظهر يوم الأحد ، وهي تستعد للعودة لـ "نيويورك" بالسيارة مع "چوناثان" . كان " روسيل " قد وافق على التعاون معهم ، فأطلقت " سارة " زفرة ارتياح . واتفقتا على اللقاء في اليوم التالي كي تتناولا الغداء معاً احتفالاً بنجاحهما في مطعم صغير هادئ.

عندما التقتا ، ألقت كل منهما نفسها بين ذراعي الأخرى ، وصاحتا :

تحيا البعثة . وأضافت " چيل " :

– ويحيا البحارة من العصر البرونزي ، وكذلك أنت يا عزيزتي ، إذ سنصبح خلال ستة أشهر مشهورتين .. سألتها " سارة " :

– وهل بهذه الطريقة حصلت على موافقة " روسيل " ؟ بأن أخبرته أن باستطاعته خلال سته أشهر وبالدعاية التي سيحصل عليها أن يضاعف أجور خدمات ناديه وفندقه ؟

– هذا ليس بالأمر المستحيل . لأن " روسيل " يبحث عن دعاية كلها تميز وتفرد ، وحلمه أن يصبح فندقه مزاراً للصفوة من العائلات في جزيرة " النمر " المعلقة . لقد أخبرته أيضاً ، وأنا أتفكه معه أنني تشرفت بسماحه لي – وأنا من عامة الشعب – بأن تطأ قدماي جنة المليارديرات ملكه .

– وماذا كانت إجابته ؟

– إنه أحياناً يجري استثناءات للعامة لمن هم أقل من المستوى . وأحياناً يكون رائعاً عندما يقوم بذلك ، وبعدها تحولت علاقتنا إلى بعض المغازلة ، لقد أضفيت الكثير من الشرف والشهرة على عزيزي " ديفيد " كي أتجنب شد الأعصاب والتوتر .

انطلقت " سارة " في الضحك وقالت :

– أفترض أن قوى إغوائك ، لم تمنع العزيز " روسيل " من وضع كل أنواع الاشتراطات .

– في الحقيقة ... لقد وضع بعض الشروط منها :

أنه يجب ألا يتجاوز الفريق دائرة المحيط ، التي حددها ، وألا يستخدم أعضاؤه حوض السباحة ولا الشاطئ ولا ملعب التنس .. إلخ . وحتى " چوناثان " حدد أنهم لا يدخلون المحلات فيما عداحوانيت الصناعات اليدوية المقامة في المباني المجاورة كما أنه اشترط ألا يزعجوهم . بل إنه طلب تعيين امرأة من الجزيرة للقيام بأعمال الطهي فوق السفينة ، وكذلك العديد من الرجال من أهل الجزيرة ضمن الفريق ، وهكذا يمكنهم الاستغناء عن منازلهم لأعضاء فريق الأبحاث ليقيموا فيها . وقد قبلت كل ذلك .

كانت المشكلة الوحيدة التي تخص أعضاء البعثة هي:هل سيرخص لهم بمغادرة السفينة عند عودتهم إلى جزيرة " النمر " كل خمسة أسابيع ؟ لقد رفض "روسيل" ، ولكن "چيل" كانت تأمل أن يغير رأيه ، وأن تحصل لهم على

تصريح منه بقضاء عدة ساعات على الجزيرة من وقت لآخر . وستتكلم معه في ذلك بعد أسبوعين عندما تذهب إلى الجزيرة كي تشرف على إعداد المعمل وبرج الاتصال، وبعد استعراض عدة مشاكل مهنية ، انتقلت " چيل " إلى الحياة الخاصة لـ "چوناثان هيلي" . لقد أمضى شقيقاه " تيد " و "روسيل" ليلة كاملة يغنيان ويضحكان بجنون .

وكانت قاعة الطعام تقع فوق حجرة " چيل" تماماً .

وقد استيقظت عدة مرات أثناء الليل ، واستمعت إليهما . وفي الصباح دخلا حجرة " الإسكواش " في الساعة السادسة صباحا كي يلعبا مباراة حامية وعادا من مهمتهما عندما كانت "چيل" تتناول طعام الفطور ، وقد احمر وجهاهما ، وتقطعت أنفاسهما ، وأخذا يضربان بعضهما على الظهر وهما يضحكان.

وقصا عليها أن اللعبة أساسا كانت بغرض إخراج الخصم من حالة الجدية .. قالت :

– إن كل أبناء " هيلي" رائعون ، وأكثرهم سحرا دون شك هو "روسيل" ، فهو من ناحية يذهب مع زوجته إلى " مونت كارلو " بصفة دورية كي ينفقا ثروة من المال ، ومن ناحية أخرى فإنه مؤمن قلباً وقالباً باستثمار جهوده لتخفيف أحوال المعيشة عن سكان الجزيرة .

صمتت "چيل" برهة ، ثم أكملت قائلة :

– من الواجب أن تذهبي بنفسك هناك يا " سارة " وأنا متأكدة من أنك ستسحرين بمقابلة عائلة " چوناثان " .

كانت "سارة" تعلم تماما ما الذي تريد "چيل" أن تصل إليه ، ولكنها كررت عليها نفس الإجابة ، بأن "هومير" أيضاً كانت له عائلة ممتازة ، وأنه كان من الأفضل إقامة علاقة حميمة معه . وعلى أية حال فإن البعثة هي الشيء الوحيد ، الذي يجب أن تكرس له نفسها طوال الأسبوعين القادمين .

كانت " سيزتوكر " سفينة جميلة . لم تكن واسعة كما كانت " سارة " تتمنى ، ولكن من ناحية التجهيزات والمعدات لم يكن هناك أفضل من ذلك .

كانت في العادة ترسو بميناء " ميامي" وقد تم توجيهها ناحية الحوض

البحري " بنساكولا " كي يجرى بها بعض الإصطلاحات ، وتم وضع محطة غطس فوق سطحها وحينما وصلت " سارة " إلى " بنساكولا" في صباح يوم الجمعة ، كان الجو مشمساً في بداية شهر مارس ، كان الفنيون من البحرية قد انتهوا من إنشاء جهاز الاستشعار الصوتي تحت المياه ، المزود بأشعة إكس فوق الغواصة ، وقد أظهرت شاشات الكمبيوتر المتصلة به صورة لم تكن ضعيفة . وفي حالة التداخل أو عدم الوضوح كان الأمر يتطلب إرسال غواصين لاكتشاف السبب .

كما تم تركيب جهاز كمبيوتر أخر لتخزين المعلومات من أجل الجيش ، والتي يحصل عليها جهاز الاستشعار الصوتي تحت الماء . لم يكن من حق " سارة" أن تسأل عن المعلومات التي تهم البحرية ، ومن أجل ذلك كان جزء كبير من تفاصيل تشغيل الكمبيوتر لا تعرفه إطلاقاً ولا يمكن لها اختراقه ، فقد وضعت البحرية مفاتيح دخول معقدة للغاية كي تحمي التسجيلات والأقلام .

كان الجهاز المتخصص في الأبحاث البحرية التابع لمعهد " بورت شارلوت " قد اشترك في مشروعات البحرية ، وهو الذي كون الأعضاء الستة لفريق البحث:

القائد ، ومدير الغطس ، وبحار الغواصة ، وكبير المهندسين ، والميكانيكي ، ومرافق " سارة " للغطس ، وكان الشخص الوحيد خارج تلك المجموعة الذي على علم باشتراك البحرية في هذا المشروع هو إخصائي الكمبيوتر ، وكان قائداً سابقاًبالبحرية ويعمل الآن كإخصائي خاص .

بعد أن زارت " سارة " البارجتين البحريتين في رفقة الأدميرال "چوشوا تايلور" أحست بأنها حزينة ، لأنه كان يجب عليها أن تعود في اليوم التالي إلى " نيو هامبشير " ، كانت تود كثيراً أن تشارك فريق معهد " بورت شارلوت " في رحلة قيادة سفينة "سيزتوكر" إلى ميناء " كي وست"، حيث ينتظرها بقية أعضاء الفريق . كانت البحرية قد وضعت ذلك كشرط من شروط السرية والأمن ؛ لأنهم كانوا يريدون أولاً أن يتأكدوا من أن كل شيء يسير على ما يرام.

كان " تايلور" يصر على عدم صعود أي فرد غير عضو بالفريق إلى ظهر

www.el-romancia.com

البارجة . وقال مكملاً تعليماته :

– وهذا المنع لا ينطبق بطبيعة الحال على " هيلي " .أجابته "سارة" :

– مفهوم يا سيادة الأدميرال .

قضت الأيام الأربعة التالية في سباق مع الإدارة والطلبة ، ثم كان من الواجب عليها أن تتصل بأفراد الفريق ، وإعداد أمتعتها . وأخيرا في صباح الأربعاء رحلت " سارة " بالطائرة إلى " فلوريدا " .

لم تحس "سارة " بأن حلمها بدأ يتحقق إلا عندما صعدت فوق ظهر السفينة " سيز توكر " لقد عملت طوال ما يقرب من العام في إخراج هذه البعثة إلى حيز التنفيذ . كانت بعثتها قد رتبت حاجاتها في المقصورة المحجوزة لها ، وعادت فوق السطح لتحيي كل الموجودين هناك وكل من يصل ، كانت قد عملت مع أغلبهم ، واجتمعت بهم بعد الظهر اجتماعاً عائلياً . وفي المساء عرضت " سارة " جدولاً لمواعيد كل منهم ومختلف خطوات العمل في البحث .

وصلوا إلى جزيرة " النمر" بعد ظهر يوم الجمعة ، وكانت المدينة الوحيدة بالجزيرة تتكون من صف واحد من المساكن البيضاء المدهونة بالجير على الطريقة الإسبانية . كان البرجان الخاصان باللاسلكي اللذان مروا بهما عند وصولهم ، هما العلامة الوحيدة على وجود البعثة . كانت الجزيرة عبارة عن الأحجار الخضراء، والزمردية المدفونة وسط الكريستال . وكانت بحق جنة "روسيل" التي سبق أن وصفها .

جاءت "چيل " لمقابلتهم ، حيث كانت تعمل بالجزيرة منذ أسبوعين ، والتقت بهم عند اللسان البحري في نفس اللحظة التي كانت فيها "سيز توكر" تلقي "الهلب". رأتهم وهم يقتربون ، عندما وجدت الأهالي قد تجمعوا حول برج اللاسلكي . صاحت "چيل" وهي تلوح بذراعها :

– إن الباخرة رائعة !

أجابتها " سارة " :

– ولونك البرونزي أيضاً رائع !

وانضم شخص آخر إلى " چيل " ... كان " روسيل هيلي " ، وقد بدا عليه

المرونة الكاملة والرغبة في التعاون ، وساعدهم في المرور من الجمارك ، ودعا الفريق كله لزيارة الجزيرة .

ذكر الطريق الوحيد " سارة " بـ " سانتا روزا " بمدينة " ديزني لاند " ، لم تكن هناك أية بقعة على جدران المنازل ، ولا دهان قديم ، ولا قطعة فخار من السقف مكسورة . أشار " روسيل " إلى أحد المباني قائلاً :

– هذا هو المبنى الكبير بالجزيرة ، حيث يمكن العثور على كل الجرائد والأغذية.

توزع اهتمام " سارة " ما بين البحر والأزهار الآسيوية ، ووجدت صعوبة في التركيز على ما يقوله " روسيل " ، ومروا أمام محلات تجارية ، وكان الطريق ينتهي بغابة صغيرة . اتبعوا طريقاً ضيقاً إلى أن وصلوا إلى المباني التي شاهدوها من الباخرة . كان هناك رصيف آخر رست عليه قوارب شراعية وبخارية .

كان أول مبنى دخلوه هو معمل " چيل " وبه ركن موضوع به المكتب . أخبرت " چيل " " سارة " بأن "سام" اتصل اليوم وقال إنه لن يصل قبل يوم الاثنين ، ثم أضافت :

– أما بالنسبة لـ "تيد" ، فقد وصل منذ يوم الأربعاء ولم يكف عن تركيب المعدات الخاصة بالإرسال وتقويته . لقد حاولت أن أشرح له ذلك ، وأن الاتصال بـ "سي ووكر" هو الشيء الوحيد الذي يهمنا ، ولكنه لم يستمع إلي... أنت تعرفين " تيد " :

– نعم ، إنه – مثلك – يحب الكمال .

استدارت ناحية " روسيل " وقالت له :

– أتعشم ألا يكون أحد قد تجاوز الحدود التي وضعتها ؟

– لا .. بل إنهم فعلوا أكثر من اللازم ، لقد دعوت " چيل " للعشاء معي أمس، ولكنها رفضت . ولدي إحساس قوي أنها لم تفعل ذلك إلا لكي تقنعني بأن أسمح للفريق بالنزول إلى الجزيرة . وقبل أن أفهم ماذا حدث لي ، تقدمت بنفسي بدعوتهم لزيارة الجزيرة ، وأن أدعوك للعشاء هذه الليلة .

تحية من الفندق دون شك . إن " چيل " مفاوضة لا مثيل لها .

قالت له "چيل " :

ثم وجهت الحديث لـ " سارة " :

– أعتقد أنني خضت مفاوضات صعبة من أجل تصاريح الفريق عندما رسونا في الركن ، لقد التقيت بـ " لوسي " زوجة " روسيل " في " نيويورك " ، إنها تود من صميم قلبها أن تضع يدها على قطع الحرير الصيني المطرزة بأيدي الوطنيين .

قالت لـ " روسيل " :

– فكر في ذلك ، وإلى اللقاء .

اعترض " روسيل " :

– ولكن الزيارة لم تنته ، فبقي أمامك زيارة المحطة والمكان المحبب إلى قلبي.

كان يريد الحديث دون شك عن مكان تجميع التحف الفخارية والتماثيل ، كان هناك ستة صناع مهرة موجودون عندما دخلوا الورشة ، ولكن " روسيل " أخبرهم بأن عدد العاملين سبعة عشر .

ماإن ألقت " سارة " نظرها على المشغولات حتى أصيبت بالذهول ، فقد كانت تشبه تماماً القطع البدائية الأصلية .

وعندما تناقشت " سارة " بالإسبانية مع بعض الصناع ومن بينهم ابن الطاهية " جويلرمو لوبيز " بدا أن سكان القرية يعتبرون " سارة " وفريقها دخلاء عليهم.

كان السكان الوطنيون ينفرون من الأشخاص الذين أتوا كي يشاهدوهم، سواء أكانوا سياحاً أم غيرهم ، بما فيهم الملياردريات الذين أتوا لقضاء إجازاتهم ، والذين يشترون إنتاجهم من معرض الفن بالجزيرة ، وكانت " سارة " تحترم رغبتهم في الخصوصية وتفهمها .

أما بالنسبة للمحطة التي أنشأها " روسيل " ، فقد كانت جميلة أكثر من أي صورة شاهدتها لها .

قضوا بقية فترة ما بعد الظهر فوق السفينة ، وفي حوالي الساعة السادسة توجه الفريق بأكمله إلى مبنى الجمارك كي يركبوا الترام الصغير الذي يخترق الجزيرة ويصل إلى المحطة ، كان " روسيل " بانتظارهم وقادهم إلى الشقة الخاصة به ، حيث مدت مائدة فاخرة من الطعام ، وكان الشراب لذيذاً ، والأطباق شهية ، وقد قام " روسيل " بدور المضيف الكامل ، وكان ينتقل ما بين

المدعوين ويواصل الحديث ، ويقدم المدعوين إلى بعضهم.. همست " سارة " في أذن " چيل " .

– الحقيقة يا " چيل " لقد فعلت المعجزات مع " روسيل " ، خاصة عندما أفكر في مدى صلابته وانغلاقه على نفسه ، وأكاد الآن أعتقد أنه مسرور بلقائنا ووجودنا .

ومنعت نفسها من التثاؤب وقالت :

– أعتقد أنني أكلت كثيراً ، كما أعتقد أننا سنقوم بجولة تساعدنا على الهضم.

عادتا إلى السفينة واستندتا إلى السياج على السطح ، وهما تتأملان البحر الغامض العميق . قالت " سارة " فجأة لـ " چيل " إن " چوناثان " حدثها تليفونياً وسط الأسبوع كي يطلعها على الأعمال التي اضطرته للمكوث في " نيويورك "، ويخبرها أنه سينضم إليهم يوم الاثنين . وسألتها " چيل " إن كانت قد اشتاقت اليه ، وكانت الإجابة بنعم وإن كانت خالية من العاطفة . شرحت لها قائلة :

– إنه يتصل بي كل أسبوع ، وإن كانت جميع مكالماتنا تدور حول العمل فقط . ثم إن لديه امرأة أخرى في حياته ..

وقفت " سارة " ثم سألت " چيل " :

– هل سمعت شيئاً ؟ هناك شخص يتمشى !

استدارتا ، وشاهدتا شاباً صغيراً يظهر على سطح السفينة من الدرج الرئيسي. كان أحد الموظفين الذين أوصى " روسيل " بتعيينهم وكان بحاراً شرساً وهادئاً في آن واحد واسمه " چيمي فارجاس " ، وكان والده البستاني الخاص برئيس الجزيرة . تعجبت " سارة " لعدم حضوره العشاء معهم . احمر وجهه قليلاً وهو يقول :

– السيد " هيلي " الرئيس . وهذا النوع من موائد العشاء ليس من أجلنا .

أنبته " سارة " :

– لا تكن مضحكا ! فوق السفينة كل الناس سواسية وبالمناسبة : ستعود إلى السيد " هيلي " ، فاصحبنا ..لابد أنك تكاد تموت جوعاً .

فنظر إليهما بابتسامة امتنان وتبعهما .

الفصل الحادي عشر

كانت الغواصة " سيثيمتر " دقيقة الصنع بالمقارنة بما كانت " سارة " تستخدمه فيما مضى .

أدهشها شكلها الجميل المتقن من الداخل . وكان البحار "چيمي كلاي " على اتصال دائم بكمبيوتر الغواصة يحدد الموقع ، ويوجهها بمنتهى الدقة ، أما إخصائي تحليل الصوتيات المائية " ماكس ليبرمان " فكان يجلس أمام الشاشة ويدرس الصور، وكانت "سارة" تراقبه من فوق كتفه ، فوجدت الصور في منتهى الدقة والوضوح ، ولا شك أن الغطاسين يبذلون جهداً كبيراً في سبيل الحصول على صور بهذا الوضوح والدقة.

أما الشخص الرابع فوق السفينة ، فهو " إيد ستوني" وهو من معارف " سارة"، ومن أحسن الغطاسين في العالم . وكان يستطيع بغريزته أن يكتشف مقدمة السفينة على بعد مائة متر ، حتى لو كانت غارقة بالكامل في البقايا والحطام ، والطين ، والشعاب المرجانية .

راقب " إيد " الشاشة لمدة ما بين الساعة والساعتين ثم تمدد فوق أريكة صغيرة، وأخذ يقرأ الجريدة .

جلست "سارة " فوق المقعد الدوار ، وأخذت تراقب الشاشة عن بعد . كان "ليبرمان " من وقت لآخر يطلب من " كلاي " أن يقوم بنصف دورة لفحص شيء ما . لم يعثرا إلا على سفينة واحدة لم تكن تحتوي إلا على حطام حديدي مكوم من المؤكد أنه كان مجموعة من المدافع القديمة و "الهلب " . كان الكمبيوتر قد تمت برمجته كي يعطي معلومات عن كل الجوانب وأنواع الحطام التي سبق اكتشافها في المنطقة .

عندما ضغط " ليبرمان " على مفتاح استعادة الذاكرة ظهر اسمان على الشاشة . كانا اسمي سفينتين إسبانيتين تجاريتين خرجتا من ميناء " فيرا كروز " عام ١٧٠٠ ، وكانتا تستكملان طريقهما ..

انضم " إيد ستوني " إلى " سارة " ، وقضيا الوقت في استرجاع الذكريات في حوالي منتصف فترة ما بعد الظهر ، طلب " ليبرمان " من "كلاي " أن يصمت ، بينما أخذت " سارة " تفحص الشاشة بانتباه ، ومنذ النظرة الأولى فإن ما شاهداه لم يكن تكويناً طبيعياً . أمر " ليبرمان " " كلاي " قائلاً :

– در حول هذا التكوين في اتجاه عقارب الساعة .. هذا جيد يا "چيم " .. بضع درجات أخرى .. استمر .. استمر .. قف .

وكان "إيد" و "سارة " قد انحنيا أمام الشاشة وكان ثمة تجمع معدني في الربع البعيد من الصورة ، وهو ما لاحظته " سارة " وأشارت إليه بإصبعها .

ورسم " ليبرمان " دائرة ، وقال :

– هل ترين هذا ؟ .. يبدو أنهما سفينتان إحداهما فوق الأخرى ، وإحداهما مغروسة في الأعماق .

صاح " إيد " .

– هيا يا "سارة " .. دعينا نذهب إلى هناك !

ذهبا إلى حجرة الإعداد للغطس ، حيث لبسا زي الغطس ، وأوصلا أنابيب الهواء بالغواصة لكي يغطسا دون حاجة إلى اسطوانات هواء . وكان الاتجاه الذي سيتبعانه يتحدد وفقاً لتعليمات " ماكس " عن طريق جهاز لاسلكي كانا يحملانه .

* * *

تقدم " إيد " ، وقد لبس بوصلةمغناطيسية للتعرف على الحديد والمعادن ، بينما تولت " سارة " التصوير . كان المطلوب جمع أقل كمية من الأشياء الضرورية ، وتحديد مكان الحصول عليها بدقة . وفي لحظة معينة ، رأت " سارة " نتوءًا داخل عمق البحر ، فضغطت عليه بيدها حتى تكسر . ظهرت قطعة من الفخار، ثم تلتها قطعة أخرى . كانت عبارة عن كومة من الأواني الفخارية المكسورة . لم يكن لديها شك في أنها إسبانية الصنع . وضعت بعضها في حقيبتها الكبيرة . ثم لم تجد بعد ذلك سوى بضع محارات وشظايا لا قيمة لها .

www.elromancia.com

عندما انتهيا من الاستكشاف المبدئي ، عادا إلى " سيثيمتر" لإحضار جهاز قياس العينات .

كان موجودا أسفل الفواصة ويسمح بالغوص حتى عمق عشرة أمتار . عندما انتهيا من كل شيء ، وضعا كل العينات وكل ما عثرا عليه في حجرة خاصة بالفواصة ، مملوءة بالمياه والحرارة الثابتة ، للمحافظة على الأخشاب القديمة . حيث يمكن تحديد تواريخ صنعها بمنتهى الدقة . عن طريق " الكربون " و" الكوارتز " .

قاما بجولة في الفواصة ، واطمأنا ثم انتظرا .

سمعا صوت " ماكس" من خلال الميكرفون الداخلي :

– ثمانون دقيقة .. عند عمق أربعة وثلاثين متراً . أمامكما خمس وثلاثون دقيقة من الانتظار .

عندما رفع الونش الفواصة ووضعها فوق السفينة "سيزتوكر"، كان كل أعضاء الفريق قد تجمع وصفق عندما ظهرت " سارة " أولا ورفعت يدها بعلامة النصر وهي تبتسم . كانت "چيل " قد جاءت من الجزيرة في قارب بخاري ، ثم هجمت بلهفة على العينات كي تضعها في معمل السفينة .

كانت " سارة" قد أتمت تقريرها حول هذه الغطسة الأولى ، عندما لاحظت وجود "چوناثان " ، وقد ابتعد بعض الشيء ، وهو يناقش طبيب البعثة " مارتي وايز".

كان مرتديا سروالا قصيرا " وتي شيرت " وكان يشبه رئيس فريق السباحة ، أو لاعب تنس ؛ أكثر من كونه من رجال البنوك .

انضمت " سارة " إليه كي تحييه ، وكانت – كما قالت لـ "چيل" – قد اشتاقت إليه، ولكنها كانت مشغولة للغاية ، حتى لم تجد وقتا كي تحس بعذاب الشوق . وعندما رأته أحست بأن التركيبة الكيميائية الدقيقة التي تربطها به كانت قوية أكثر من أي وقت مضى ، على الأقل من وجهة نظرها هي .

ابتسمت له . بدا كل شيء أمامها جميلاً وسهلاً .

كانت البعثة تسير بنجاح في مسيرتها ، وكان الجو رائعاً والبحر صافياً ، والرجل الذي تحبه موجوداً أمامها .

تصافحا . كان "چوناثان " يقوم بدور الرئيس للمؤسسة على أكمل وجه . وكانت " سارة " تتحرق شوقاً لأن تقول له " لا داعي لكل هذا الجهد " . ولكن أين الجانب المرح في مسلكه ؟

في ستة أسابيع من الممكن أن تحدث تغيرات كثيرة . قالت "سارة" :

– لا شك أنك تنوي الإقامة .. أين متعلقاتك ؟

– بالقرب من الدرج المؤدي إلى الكبائن .

ذهبا كي يأخذاها ، ونزلا الدرج . كان قلب " سارة " يدق بقوة ، وفتحت باب مقصورتها وكانت أكبر واحدة بالسفينة ، وتبعها "چوناثان " ووضع حقيبة السفر على الأرضية وهو قلق ويبدو عليه عدم الاستقرار . كانت " سارة " لطيفة معه لا أكثر . وقد أرسلت " چيل " مكانها إلى " نيويورك " . هل يجب عليه أن يفكر بعد ذلك في حسن حظه ؟

نظر حوله ، فوجد سريراً كبيراً ينطوي داخل الجدار ،كما وجد " سويتر " نسائياً ملقى فوق ظهر مقعد ، بينما وضعت الجريدة وحقيبة يد فوق المائدة .

تقدم "چوناثان " ناحية " الكومودينو" وفتح درجاً . كان مملوءاً بالملابس الداخلية النسائية . وأغلق الدرج واستدار نحوها :

– لابد أن هناك خطأ . فهذه المقصورة مشغولة .

رأت تماماً ابتسامته ، وتبينت اللهجة المشاكسة في صوته . ولكن لم تكن واثقة تماما من نفسها ، لذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقول :

– لست مضطراً للإقامة هنا .. هناك مقصورة أخرى غير مشغولة .

– لا مجال للنقاش . أغلقي الباب وتعالي هنا ..

– هل هذا أمر ؟

– لا يا سيدتي ... بل رجاء متواضع ، ولكن إذا لم تسرعي ..

أغلقت " سارة " الباب ، وجرت نحوه ولفت ذراعيها حول وسطه . قبلها قبلة خفيفة فوق فمها وأنفها وعنقها ... كانت رائحته .. رائحة البحر .. أخذ يتذوق جلدها . واندفعا في عناق محموم ، زاده الشوق لهيباً . همست وهي ملتصقة بصدره :

– إنها ساعة تناول الطعام . هل أنت جائع ؟

–لا .

– إذن لابد من إجبارك ، فأنا هنا " الرئيس " ، والجميع ينتظرنا ..

ابتعدت عنه قليلاً ، وأخذت تتطلع إليه وكأنه أجمل رجل في العالم .. همست :

– إن لدى " روسيل " طاهية رائعة ، وقد وعدتنا بدجاجة مشوية على الطريقة الوطنية ، أخذ "جوناثان" وجه " سارة " بين يديه وقبلها قبلة حارة ..

وعندما غادرا المقصورة ترك يدها .

بدأ العشاء وكأنه لن ينتهي ، توارى " جوناثان " وترك " سارة " كي تكون نجمة الحفل . كان وجوده غريباً بعض الشيء وسط هذا الجمع من الباحثين والقطاسين ، وكان يمثل المال والمؤسسات الكبرى " بنيويورك " ، التي يعتمد مشروعهم إلى حد كبير عليها وكانوا يتساطون عن طبيعة العلاقة بينه وبين "سارة" .

وعلى أية حال ، فقد فاجأ شيء ما "جوناثان" وأثار انتباهه بسرعة ، وهو وجود عدد من الرجال أكبر من عدد النساء . وأن الجزء الأكبر كان صغير السن، رياضياً ، ويحس بسحر "سارة" وجمالها . كم كان يود أن يطمئن على الشابة الحسناء وسط هذا الحشد ، بأن يضع ذراعه فوق كتفها من أن لآخر ، وأن يناديها " بعزيزتي " أثناء حديثه معها ، ولكنه لم يجسر على ذلك . كان يخشى إرباك "سارة" أو إثارة عدوانيتها. وأخيراً سيعرف الجميع أنه يقيم بمقصورتها .

نوقشت موضوعات المشروع بعد العشاء .

وتدخلت إحدى إخصائيات الطبيعة ، كي تشير إلى أن دراسات علم أعماق المحيطات قد ألفت سرية المعلومات الأساسية . وقد انتهزت تلك الإخصائية فرصة وجود " جوناثان " ، كي تطلب منه أن يستخدم نفوذه ويرفع الحظر عن الأموال المخصصة لإنشاء كرسي لهذه الدراسة بالجامعة .

زفر "جوناثان" وهو يجيب بأنه سيفعل كل ما يستطيعه . وكان على استعداد لتقديم أية وعود ، شريطة أن يدعوه يذهب هو و"سارة" ..

كانت " سارة " تحس بنفاد صبر "جوناثان" ، فأنهت الاجتماع في وقت محدد، وتمنت ليلة سعيدة للجميع . تبعها "جوناثان" . وسرعان ما كانا داخل المقصورة . ألقت " سارة " بنفسها فوق مقعد ذي مساند ، وهي تطلق زفرة شبه مكتومة .

– إنني أحس بأنني عصبية بعض الشيء .

طمأنها "جوناثان" وهو يخلع ملابسه :

– لن يدوم ذلك طويلاً ومن ناحية أخرى فإن بعض الاسترخاء قد يفيد .

– أعرف ذلك ..

قامت " سارة " مثله بخلع " التي شيرت " وهي تحس بعدم الراحة ، وعندما أتمت ذلك تقدم منها "جوناثان" وأخذ القميص من يدها ، ثم خلع عنها حذاءها .

أحست لأول مرة في حياتها بأنها سعيدة ..

لقد كان يختلف في علاقته معها تماما عن "هومير" الذي كان قد استغل براءتها وعدم خبرتها . كان "جوناثان" يجعلها تحس بأنها مرغوبة ، فاستسلمت لرغبتها المستعرة نحوه .

وعندما هدأت عاطفتهما ، أخذها "جوناثان" بين ذراعيه ، وهو يقول :

– أعتقد أنني سأحصل على الكثير من الإجازات هذا الصيف .

* * *

الفصل الثاني عشر

انتظمت حياة " سارة " و"جوناثان " في الأيام التالية بطريقة أفضل . كانا يتناولان فطورهما يوميا معا وبمفردهما بالمقصورة ، ويعملان معا أثناء النهار معظم الوقت داخل الغواصة .

وكان اجتماع الفريق دائماً مليئاً بالحيوية والعاطفة ، ووجبات الغداء مرحة ، بينما كان الليل كله لهما بمفردهما .

وكان أعضاء الفريق سعداء من أجل "سارة " ، عندما وجدوها هائمة في علاقتها مع "جوناثان" وكانوا يمازحونها أحيانا ، ولكنها لم تكن تتضايق من ذلك ، بل كانت ترد عليهم ردوداً لاذعة .

وعلى العكس ، كان "جوناثان " ينظر إلى الأمر بغير راحة . وصرح بذلك في يوم ما وهما في حجرة ضغط الهواء فقد بدأ حديثه قائلاً :

– أعرف تماماً أنه من فحش القول أن أشير إلى أصلي ، ولا أشك لحظة في صدق عواطفك نحوي ، ولكني أؤكد لك أنه لأمر صعب أن نرى الناس كل يوم يتعرفون أكثر على مدى علاقتي معك . ابتسمت " سارة " وقالت :

– أنت تأخذ مزاحهم مأخذ الجد . هنا كل شيء يمر مر الكرام ، وكأنك في المدينة الجامعية أو الخدمة العسكرية .

زمجر "جوناثان " . وكان يبدو شديد الجدية معتل المزاج حتى إن "سارة " وضعت يدها داخل قميصه وهي تضحك :

– قبل كل شيء يا "جوناثان موريسون هيلي " بن "جوناثان لينلي هيلي" ، أنت تعيش فوق تلال من الدولارات . وأنا عشيقتك... ما الذي سأحصل عليه من وراء ذلك ؟ معاطف فراء؟ ... جواهر ؟ ... أملاك واسعة ؟ لا شيء على الإطلاق. وبصراحة ..فإنني أتساءل : هل حصلت فعلا على صفقة مربحة ؟

جذبها نحوه ، وأجبرها على الجلوس فوق ركبتيه .

– كلمة واحدة منك ، وسأنتزعك من هذا الجحيم يا حبيبتي ؟ ... لماذا لا تتوقفين

عن العمل ؟

إنك ستنتقلين من حفل "كوكتيل " إلى رحلة بحرية ،ومن معرض جمعية بر ، إلى افتتاح عرض أزياء لمبتكرات "كارتييه" أو " سان لوران" يا لها من حياة جميلة.!

صاحت " سارة " ، وهي تخفي وجهها في صدره :

– يا للهول !

استغل "جوناثان" التصاقها به كي يداعبها ، فأطلقت صيحات سرور عالية وقالت:

– أنت فاسد الأخلاق يا سيد "هيلي" .. إن هذه الأفعال في غواصة على عمق أربعين مترا ..

– لا تثيريني أكثر من هذا . وقبل كل شيء .. من الذي يتمشى بمايوه شبه عار على الشاطئ؟

بعد ذلك انهمكا في العمل . ووصلهما صوت " ماكس ليبرمان " عبر الميكروفون الداخلي . طلب من " سارة " أن تصعد لتلقي نظرة على الشاشة فتركها "جوناثان " وهو آسف ، ولكنها قالت بلهجة لاذعة :

– تذكر الليلة التي انهمكت فيها مع البورصة !

فكر بضع ثوان وقال :

– الأفضل أن أغطس معك ونقضي كل الساعات معاً في حجرة الهواء المضغوط .

وقفت " سارة " عند الباب قائلة :

– يا للخسارة .. لأنك لا تمتلك رخصة يا "جوناثان " المسكين . لابد أن استمر مع " إيد" ..

كان "إيد ستوني " غير مقبول عند "جوناثان " وكان يحس بالغيرة من العلاقات المهنية بينها وبين "إيد" ، وكان قلقاً وهو يراها تقضي وقتا طويلاً في حجرة ضغط الهواء معه ، وكان يفضل لو أن ذلك الشاب كان أقل جاذبية منه قالت له:

– إنه متزوج ولديه ثلاثة أطفال .

www.elromancia.com

– وتتقصين أخباره أيضا ؟

– إنني أعرفه منذ سنوات عدة ! ولقد لاحظت أنك دائما تعامله بتحفظ أكثر من اللازم ... لا شك أنك تخشى أن نقوم بمغامرة عاطفية عندما نعود إلى "نيويورك".

بدأ جرس التحذير يدق في رأس "چوناثان" ، لم يتحدث لا هو ولا "سارة" عن المستقبل بينهما . لم يكن هناك اتفاق مسبق . كانت علاقتهما من نوع العلاقات التي لا غد لها .

كان تخيل وجود "سارة" مع رجل آخر يسبب له عذاباً لا يحتمل . قال لها وهو يهز كتفيه :

– أنت حرة !

وضعت يدها فوق ذراعه :

– ولكن ذلك سيحزنك كثيراً ؟

أجاب بنظرة قاتمة :

– نعم ..

– لابد أن نناقش ذلك بتفاصيل أكثر .

ما إن رآها "لبير مان" حتى أراها بقعة داكنة في أسفل الشاشة :

– أعتقد أنها هلب سفينة من الخشب أو الحجر ، ولكنها مدفونة على عمق من ثلاثة إلى تسعة أمتار من الحطام .. ولا يوجد حولها شيء .. لا سفينة ولا أشياء من ذلك القبيل . ما رأيك ؟

استدارت "سارة" ناحية "إيد" وسألته .

– وما رأيك أنت ؟

نظر "إيد" إلى ساعته وقال :

– هيا بنا .. لقد تقدمنا عن البرنامج اليومي ، وهذا يتيح لنا اختبار هذا الجهاز.

كان "إيد" يشير إلى الإجراء الذي يسمح بالبحث عن عينات على عمق عشرة أمتار ، وكسر الشعب المرجانية وتسليط تيار قوي من المياه .. على الجهة المراد تخليصها من العوائق ، ورفع كتل يبلغ وزنها خمسمائة كيلوجرام بواسطة ذراع

آلية . وقد اختارا من أجل القيام بمناورتهما زي غطس ذاتي الهواء حتى لا تعوقهما الوصلات مع الغواصة .

استغرق منهما ذلك العمل الدقيق المرهق ما يقرب من الساعتين ، ولكنهما عندما وصلا إلى هدفهما ، وجدا أنه تكوين طبيعي ، أحسا بالإحباط والتعب ، فعادا إلى حجرة الهواء المضغوط ، ضغط "ليبرمان" زر الميكرفون الداخلي كي يوضح لهما ما يراه . كان "چوناثان" أيضاً ينصت ويراقب ، وقد أحس بشعور "سارة" بالفشل .

لقد مرت خمس وأربعون دقيقة على وجودها مع "إيد" وعندما بدأ ضوء أحمر يضيء ويختفي فوق لوحة العرض . أعلن "چيم كلاي" البحار أن ذلك علامة تحذير متصلة بدورة الهواء في الغواصة . كان خطأ ميكانيكيا قد سبب ارتفاع نسبة الكربون في الهواء . أعلن "كلاي" في الميكرفون :

– في رأيي أن هناك صماماً غير محكم ، ويمكنك الاستمرار لمدة ربع ساعة أخرى قبل أن يصل المستوى إلى الحد الذي يثير القلق . ما رأيك ؟

كان "چوناثان" معتاداً على التدخل وإصدار الأوامر ، فقطع الحديث قبل أن تجيب "سارة" .

– ما هذا السيناريو ؟ كل شيء يسير على ما يرام ! ولكن ماذا يحدث لو غزا الكربون الغواصة ؟

– لدينا الوقت الكافي كي نصعد إلى السفينة .

– هذا لا يعجبني ، خاصة وأن "سارة" و"إيد" في حالة ضغط شديد ، وتحتاج غرفة الإنقاذ بالغواصة إلى نصف ساعة حتى يمكن الوصول إليها .

–من يشاهدك في هذه الحالة يقسم أنك تخرج فيلماً سينمائياً يا "چوناثان" حول كارثة . أمامنا عشرون دقيقة ، ولكن قد ينفجر الصمام بالتأكيد خلال تلك الدقائق وفي هذه الحالة نستطيع أن نستخدم الأكسچين ، سنواصل المهمة حتى نهايتها . اتفقنا يا "چيم" ! تدخل "چيم" مرة ثانية :

– اسمعيني يا "سارة" . أنت لست متأكدة بأن الخطر يرجع للصمام . هيا عودي ، وعاودي الغطس غداً في وقت مبكر . لقد اقترب النهار على النهاية

www.elromancia.com

وعندما يكون المرء متعباً يرتكب أخطاء.

– إنني لا أواجه أي خطر يا "جوناثان" ، وكف عن التدخل فيما لا يعنيك .

قطع "جوناثان" الاتصال وسأل "جيم" .

– ما رأيك ؟

هز البحار كتفيه :

– إنه غطاس ماهر ، وما تتخيله ليس مستحيلاً ، ولكن في نفس الوقت يجب أخذ الأمر بمنتهى السهولة . لو كنت بمفردي لأكملت مهمتي .

سأل "جوناثان" "ليبرمان" عن رأيه :

– أعتقد لو كان "إيد" بمفرده أسفل لما قلقت .

– ولكنك لم تجب عن سؤالي .

ابتسم "ماكس" وقال :

– إنني متفائل بطبيعتي ..

تردد "جوناثان" لحظة ، ثم قال لـ "كلاي" :

– اتصل بالغواصة كي تصعد فوقها .

– ألن تخبر "سارة" ؟

كان "جوناثان" معتادا على إطاعة أوامره ، وقد بدأ الأمر كله يضايقه ، فصاح :

– لن نخبر "سارة" . أنت تعمل بنقود مؤسستي وليس لدي نية أن أعرض الأرواح إلى الخطر . عليهم أن يعودوا . هل فهمت ؟

نفذ "كلاي" الأوامر وهو مسرور أكثر منه غاضبا . وفي هذه الفترة كانت "سارة" لديها فكرة عما يحدث فوق السفينة، فاشتعلت غضباً ، والتفتت إلى "إيد" قائلة :

– لدي رغبة في أن أخرج من هنا وأقضم رقبته .ما الذي جرى له حتى يعطي الأوامر بدلاً مني ؟

قال "إيد" بلهجة ساخرة :

– يا عزيزتي المسكينة .. منذ قرن والسيد "هيلي" يصدر الأوامر ، لقد أصبح ذلك من طبيعته .

عندما عادت إلى قاعة القيادة ، وجدت ما كانت تخشاه :

سطح البحر والغواصة أمامها ، و"جيم" يضعها في المكان المضبوط كي يمكن تثبيتها فوق سطح السفينة . شحب وجهها من الغضب ، وقد ضغطت أسنانها وصعدت في البداية ، وفي الحال أشارت إلى كبير المهندسين "ليو ويلر" الذي كان بانتظارها .. تردد "جوناثان" قليلاً ، ثم انضم إليهما . قالت "سارة" :

– فهمت يا "ليو" .. وعلى أية حال اعتمد علي وأرجو إعداد تقريرك صباح الغد .

سأل "جوناثان" :

– أخبرني يا "ليو" من غيرنا – نحن الأربعة – دخل الغواصة عندما كانت فوق السفينة .

– حسناً ! القائد ومساعده ، وكبير الميكانيكيين ، و قد تلقى الباقون الأوامر بالابتعاد عنها .. فهمت "سارة" تماماً ما الذي يريد "جوناثان" أن يصل إليه ، ولم تقبل إطلاقا تصرفه .

فانفجرت صائحة :

– بعضهم أراد تخريب هذا الجهاز . ولم يكتف بفك الصمام ..

لم يعر "جوناثان" تدخلها أي انتباه ، وقال :

– في المستقبل أريد مراجعة تشغيل "سيتميتر" كل صباح قبل نزولها البحر، بالإضافة إلى المساء عند عودتها . وأحب سؤال الجميع دون استثناء لمعرفة من الذي وضع قدمه في ذلك الجهاز دون إذن ؟

– إذا كنت تتهم "ليو" أو "ريتش" ...

– إنني لا أتهم أحداً . إنني أسأل فقط .لاتخاذ الاحتياطات الواجبة والأولية.

وجهت "سارة" له ابتسامة حاولت فيها أن تبدو طبيعية :

– أعتقد في الوضع الحالي أن ذلك ليس ضرورياً .

– إنني مصر .

– عفواً .. أنت مصر ، ولكني لا أعتقد أن هذا دورك على السفينة .

www.elromancia.com

احتفظ بنظره بعيداً دون أي حركة وقال :

– لقد حددت دوري بنفسي .

– سترحل خلال ثلاثة أيام . وسأبقى دائما هنا ، ولكن إذا أردت تغيير مهنتك فلا تتردد . وأنا مقتنعة أنك ستصبح عالم آثار فعالاً جدا ، وأصبح أنا مديرة بنك مرموقة .

فهم " چوناثان " أن عليه التراجع في الحال .

لكن من ناحية أخرى ، فإنه لا يتقبل هذا الهجوم الذي لا تفسير له ، وظل صامتاً لبرهة ، فاتخذت " سارة " قرارها دون أن تنظر إليه .

استدارت وقالت لـ "ليو" :

– هيا بنا نراجع دوائر الغواصة .

راقبهما "چوناثان" وهما يبتعدان ، ولاحظ ابتسامة خفيفة على شفتي " إيد ستوني " .. رد عليها بهز كتفيه مستسلماً وهو يقول :

– إنها صلبة الرأي .

قال "إيد" وهو يضحك :

– شيء طبيعي ، فقد كانت متزوجة من " الفاريدو " لمدة ثمانية أعوام .

توجه "كلاي" و "ليبرمان" و "ستوني" ناحية الغواصة بينما لحق "چوناثان" بالمقصورة التي كان يشارك فيها "سارة" ، وتمدد فوق السرير ، وأخذ يقرأ ويفكر . اعتل مزاجه فترة ، وازداد اعتلاله دقيقة بعد أخرى . إنه قلق عليها بينما لم تفكر إلا في شيء واحد :

فرض سلطتها ، وهي في الأعماق ، ربما كان ذلك بالنسبة لها مجرد وسيلة لتثبيت أهدافها .

عندما لحقت به ، كانت في برودة المحيط الأطلنطي في شهر يناير (كانون الثاني) . نظرت إليه دون أن يهتز لها رمش وأعلنت :

– لقد انفتح الصمام . وكان بإمكاننا أن نظل في الماء ست ساعات أخرى دون أي مشكلة .

حاول " چوناثان " ألا يدخل في الطلاسم :

– اعذريني إذا كنت قد تجاوزت قلقي . لقد كنت قلقاً عليك ، وهذا كل ما في الأمر .

– لست في حاجة إلى من يرعاني ، وأنا فوق " سيز توكر " .

– لا شك في ذلك ، ولكن نظراً لعلاقتنا ...

– لتقف علاقتنا هنا ، ولتكف من الآن عن النزول معنا في الغواصة يا "چوناثان" . لقد كان أربعة أشخاص لهم مثل خبرتي متفقين على الاستمرار حتى نهاية المهمة المحددة " .

حسنا . إنك أنت الذي توفر المال ، ولكن هذا لا يعطيك أي حق – لأي سبب من الأسباب – في إعطاء الأوامر مكاني ، حتى في حالة حدوث مشاكل .

– حسنا .. موافق .

مد " چوناثان " ذراعه لها وهو يقول :

– يا حبيبتي . لن نتجادل الآن ، فلم يبق أمامنا سوى ثلاثة أيام قبل رحيلي.

فهمت " سارة " تماماً ما يرمي إليه : الحب أيضاً .

إن الرجال لا يفكرون إلا فيه . نسيت الآن أن الضوء الذي يشع الآن في عيني "چوناثان" هو الذي كان ينير لياليها .

أخذت بعض الملابس من (الدولاب) ، وذهبت لأخذ حمام . كان صراعها مع الحطام قد أنهكها ، وأحست بأنها متسخة ولزجة . أخذ الماء الساخن يترقرق فوق جلدها ووجهها ، وعندما دخل " چوناثان " المقصورة .. لم يكن يرتدي سوى منشفة حول الجزء الأسفل من جسمه .

صاحت ، حتى علا صوتها فوق صوت المياه :

– سأخرج فوراً ، فلدي موعد مع " شارلي لورنس ... " كان " شارلي لورنس" هو قائد السفينة ، ولا وجود لذلك الموعد . قال لها بلطف وهو يترك المنشفة تسقط .

– أنت تكذبين ، فأنفك يرتعش .

– حسناً ... إنني أكذب ، ولكن ليس لدي مزاج . وأمنعك من الاقتراب مني ، لأن ثورتي معك كانت حقيقية ... لكنها استسلمت له بعد صراع غير طويل ، وعندما

www.elromancia.com

عادت إلى رشدها ، أحست بالخجل من نفسها، لقد كان مسيطراً عليها تماماً ، نظرت إليه ...ابتسم ، وأخذ يتهكم عليها بلطف ، وفجأة أحست أنها تكرهه .
قالت له :
– إنك لا تحس بمدى غضبي .
– بل أحس بذلك ، وأنت تزدادين جمالاً عندما تغضبين .
جلست " سارة " فوق السرير ، وقد أحاطتها موجة من المرارة .
– أعتقد أنك ستتمشى غداً فوق السفينة دون قميص ، وأنت تتيه فخراً . وإذا كنت تعتقد أنني لم أفهم حيلتك يا " جوناثان " .. فعلا إنك لا تحب أن أصدر لك الأوامر ، وعليه فقد قررت أن تظهر لي أنك الرئيس . وأرجو أن تكون قد استمتعت بهذه التمثيلية ، لأنني أحذرك بأنه لن يكون هناك غيرها مرة أخرى .
– " سارة " ... يا حبي !
– قف مكانك ! واحزم أمتعتك كي تنام في مكان آخر . لكنه لم يتحرك قيد أنملة:
– بدلاً من أن توجهي ضربات في الهواء ، حللي بهدوء ما حدث . لقد كنا نحن الاثنين في ثورة غضب ولكن لم يمنع الغضب الرغبة العاطفية بل بالعكس ..
لا يوجد إذن ما يجعلك تستمرين في حالة الثورة هذه في الوقت الحالي ..
أدارت له " سارة " ظهرها دون أن تنطق كلمة .
وأصبح الصمت ثقيلاً ، وأخيرا أطلق " جوناثان " زفرة وهو يغمغم :
– كلميني يا " سارة " ! أرجوك !
عندما سمعت صوته ، لم تدر ما ينبغي عليها أن تفعل ...أتلقي بنفسها بين ذراعيه ؟ أم تخرجه من حياتها ؟
كان القرار فورياً ، لقد ذهب عنها كل توترها :
– أنت غشاش ... أنت تعلم أنني لن أقاوم رسالة مثل رسالتك عندما أكون متعبة ..
– إنني أستخدم كل أسلحتي يا حبي . وبالنسبة لهذه الساعة ، أرجو أن تضعي نفسك مكاني .لقد كنت قلقاً على سلامتك .. لم أفكر في الأمر ،

وتوليت القيادة دون تفكير .. بحكم العادة ..
– إن آل " هيلي " أولاد مدللون ، فاسدون ، لا يرفض أحد لهم طلبا .
– إلا أنت.. إنني أتساءل كيف تحملتك ؟
جذبها بلطف ووسد رأسها كتفه ..
– افترضي أنني كنت مكانك في حجرة ضغط الهواء .
وتركنا الغواصة التي ضاعت منا . وأنتظر أن أنقل إلى حجرة " سيز توكر " ورنتاي تعانيان الاحتضار أولا من التشنجات ، والآلام التي لا تطاق في المفاصل والركبتين والكوعين . ثانيا : وأنا أصرخ وقد تكور جسمي وأتنفس بصعوبة ...
صاحت " سارة " وهي تلتصق به أكثر فأكثر :
– قف ! وأرجوك ألا تحارب " ليو وريتش " هل فهمت ؟
– حسناً . ما رأيك أن ننام بعض الوقت قبل العشاء ؟
قال ذلك في همس ، وهو يداعب شعرها ، هزت رأسها موافقة وهي شاردة ، ثم سكن جسدها بين ذراعيه من الإرهاق .

www.elromancia.com

الفصل الثالث عشر

كلما تقدم الربيع ، استقر نظام العمل وتتابعت الأيام متشابهة . مرت الساعات فوق " سيز توكر " متلاحقة . كان أعضاء الفريق أحيانا يلعبون الورق ، ويقرءون أو يشاهدون أفلاماً سينمائية . وكانت " سارة " تذهب مع " إيد " من وقت لآخر لمراجعة بعض الأمور في القاع ، والتي كان الفريق يعمل عليها . اكتشفوا عدة سفن إسبانية ، الأمر الذي أبهج الحكومة المكسيكية ؛ لأنها كانت مشتركة في أعمال الغوص والبحث عن الحطام وتحصل على الثروات . في حين كانت " سارة " تشعر بالإحباط المتزايد ، هي وزملاؤها .

بعد أن قضوا خمسة أسابيع في البحر ، عادوا إلى جزيرة " النمر " كي يحصلوا على التموين اللازم ، وقضوا ثلاثة أيام بدون عمل بسبب انقطاع إحدى الدوائر اللاسلكية ، فانخفضت معنوياتهم إلى الحضيض . قررت "سارة" أن الجميع في حاجة إلى الترفيه لإزالة التوتر عنهم ..

عندما وصلوا إلى الجزيرة ، ذهبت " سارة " مباشرة إلى معمل " چيل " ، ولكنها لم تجد أحداً هناك ،وأرادت أن تذهب إلى الورشة المجاورة كي تسأل الصناع هناك عما إذا كانوا قد رأوها، ولكن أبواب الورشة كانت مغلقة . وعندما همت " سارة " بفتح الباب ، خرج فتى صغير ، وقال لها :

-"إن " چيل " لابد أن تكون في المطعم بالمحطة " .

وأخيرا التقت الزميلتان وسط الطريق ، ودهشت " سارة " عندما وجدت "روسيل " برفقة " چيل " ، وبعد أن حياها أخبرها أنه مر بالمعمل في أثناء إحدى جولاته التفتيشية على مباني الفندق والنادي وتعاطف مع مشاكل " سارة " التي انتهزت الفرصة وطلبت منه أن يسمح للفريق باستخدام ملاعب التنس وأحواض السباحة وملاعب الجولف حتى يتم إصلاح الأعطال .

قال لها متهكما وهو يبتسم :

- إن لديك أحد أفراد " هيلي " تحت يدك .. فلماذا تريدين ابتلاع واحد آخر ؟ أعتقد أنك تعرفين أن " چوناثان " ، قد طلب زيادة في الدعم المالي لأبحاثك في

مجلس الإدارة الأخير ؟

فانفجرت " چيل " ضاحكة :

- لا تعيريه انتباهك يا " سارة " . إنه يحب معاكسة الناس .

أكمل " روسيل " حديثه :

- ومن ناحية أخرى فإننا لم نعد نشاهد " چوناثان " في الحفلات الاجتماعية . فكان علي أن أشرح للجميع أنه اكتشف في نفسه موهبة علم الآثار البحرية .

قالت " سارة " وهي تبتسم :

- إن الزيارة ليومين أو ثلاثة ليست فيها مبالغة عاطفية تدفعه للانضمام للفريق.

- أخشى أن تصبح جزيرة " النمر " هي مقصده ، ولكن ... لماذا لا يذهب مثلا إلى جزيرة " ماچير " ؟ فلدي هناك صديق يمكن أن يقدم له سعراً لا يقبل المنافسة ، فقد أديت له خدمة كبيرة ، وسيرتب إقامتكما على أكمل وجه .

دعاهم " روسيل " هذا المساء للعشاء ، وبلغ به الكرم أن قدم شيكا باسم "سارة " يغطي تكاليف إقامة الفريق كله في جزيرة "ماچير" .قبلت " سارة" منه الشيك ، وفهمت ما يقصده . لن تستطيع جزيرة "النمر " أن تستغني أبداً عن جزيرة "ماچير " .. ولكنها في النهاية لم تذهب إلى جزيرة "ماچير " ، وإنما فضلت أن تتبع "چيل إلى مدينة المكسيك كي تحضر آخر العينات للمعمل .

أرادت الزميلتان أن تحصلا على إجازة قصيرة ، وعند عودتهما كانت " سارة " تحس في نفسها نشاطاً ، وقررت أن تضيف ساعة ونصف الساعة إلى ساعات العمل اليومية ، حتى يمكن تعويض الوقت الضائع . وبمرور الوقت بدأت تحس بالعذاب أكثر من الآخرين ، لأنها هي التي كانت تتحمل المسؤولية . كانت تحمل على كتفيها أوزار الفشل والنجاح لهذه البعثة .

حضر " چوناثان " إلى الخليج بعد أسبوعين ، كي يمضي عطلة نهاية الأسبوع معها . عندما خرجت " سارة " من الغواصة يوم الجمعة بحثت عنه بعينيها لأنها كانت تحس بشوق جارف له . تقدم لتقبيلها ، وانتظر حتى انتهت من تقريرها وقبل أن يصحبها إلى المقصورة .. كان " چوناثان " قد وصل فوق

www.elromancia.com

سطح "سيز توكر" من حوالي نصف الساعة ، وكان كل ما سمعه من "شارلي لورنس" لم يسره تماماً . وكانت "سارة" منهكة ولا تريد أن تعترف بذلك .

وما إن انغلق الباب ، حتى استعد "جوناثان" للمعركة ، فأمسك بـ "سارة" من يدها ، وقادها حتى المرآة :

- انظري إلى نفسك يا عزيزتي .. أنت على وشك الانهيار من الإجهاد من لحظة لأخرى .

دهش تماماً عندما وجدها لا تعارض ، وإنما جلست على السرير ، وبدأت في تدليك رقبتها .

- هذه آخر ساعة أقضيها فوق سطح السفينة وغداً لن أنزل إلى الغواصة .

فجأة أحست بالقلق الشديد ، فاستدارت وألقت بنفسها بين ذراعيه . قال لها هامساً :

- لقد اشتقت إليك .

كان ردها الوحيد أنها اندفعت تقبله بحرارة ، حتى أحست باليأس فاشتعلت رغبته كما تعود كلما وجدها بين ذراعيه .

أحست بالامتنان له ، وبدأ النعاس يداعب عينيها بعد أن زال عنها التوتر والإرهاق .

مر اجتماع المساء دون مشاكل . وكانت المشكلة خاصة بأحد محركات القوارب البخارية الصغيرة ، الذي كان في حاجة إلى إصلاح ، وكان "ليو" يرى أنه يمكن إصلاحه دون الحاجة إلى رفعه فوق الأرض ، وفي اللحظة التي استعد فيها الجميع لجمع مذكراتهم والرحيل ، رفع "جوناثان" يده قائلا :

- أرجو أن تعيروني انتباهكم !

- جلس كل من كانوا قد نهضوا ، فقال :

- لقد تمت الموافقة على منحكم الأموال الإضافية التي طلبتموها ، وفيما عدا ذلك فلدي سؤال أود أن أطرحه : هل أنتم راضون عن استخدامكم للوقت ؟

فتحت "سارة" فمها ، ثم أغلقته ، ثم سألته أخيراً :

- هل لديكم تعليقات ؟

كانت هناك فعلا تعليقات . كان الجميع قلقين بالنسبة لمسألة الصحة والجسد والأخلاق .

ورغم عدم وقوع حادث معين يؤيد تلك الشكوك ، إلا أنه بقي هناك ما يثير جوا من القلق وعدم الراحة . كانت "سارة" غاضبة :

- لوكنت رجلا لما قلتم هذا الكلام .

اعترض "جوناثان" على قولها :

- لو كنت رجلاً لأحسست أنك لست مجبرة على الاستمرار متجاوزة طاقتك .

استدار ناحية طبيب البعثة "مارني واينر" .

- كيف كانت حالها في آخر فحص يا دكتور ؟

- حسنة ، ولكنها كادت تموت في الصباح .

- قبل أن تثير "سارة" مشاكل خطيرة ، أود أن تكلف غطاساً جديداً ، بدلا منها ومن "إيد" ما رأيك ؟

ذكرته "سارة" في الحال بأن المشروع الأصلي كان يتضمن ثلاثة غطاسين . قال "إيد" :

- لو أن لدينا غطاساً مؤهلا في مستوى "سارة" فلن نتردد لحظة في استخدامه ، ولكن أين نجده ؟

اعترضت "سارة" :

- وكيف ندفع أجره ؟

قاطعها "جوناثان" .

- إنني سأهتم بذلك . ولكنه أثناء تفكيرنا في ذلك فإنني أتساءل :

- أليس من الأفضل أن نعود إلى جدول المواعيد العادي ؟ إن بحاراً إضافياً لن يتعب "ماكس" أو "جيم" .

لم يكن "ماكس" و "جيم" وفقا لما تعرفه "سارة" بحاجة إلى التخفيف عنهما ، وقد أفحم كلام "جوناثان" "سارة" فأخذت تغمغم :

- ما رأيكما . يا "جيم" ويا "ماكس" ؟

www.elromancia.com

ذهلت " سارة " من الإجابة التي تلقتها .

كان " چيم " مرهقا من إدارة الغواصة في ركن " كامبتش بانك " شديد الوعورة و إنه في حاجة إلى الراحة . أما بالنسبة لـ " ماكس " فقد أعلن أنه قد راقب الشاشة مدة طويلة ، حتى انتهى به الأمر إلى عدم رؤية شيء .بعد مناقشة استغرقت عشر دقائق. نهضت " سارة " بعد أن أخذت نفساً طويلاً .

– سنعود إلى استخدام المواعيد الأولى ، وسأمنحكم راحة لمدة نصف يوم كل أسبوع . وأرجو المعذرة لأنني لم اكتشف مبكرة أنكم مرهقون . سأطلب القهوة من " كلارا "وسنتناولها في الصالون حيث ننتهي من الحديث في بقية الأمور .

استمر الاجتماع نصف ساعة أخرى ، وقد بدا الوقت لـ " سارة" أنه بلا نهاية.

وعندما توجهت إلى مقصورتها وقد أطرقت برأسها وهي صامتة ، كانت تبدو مكتئبة للغاية . وكان "چوناثان " يسير بجوارها ، فسألها عندما أصبحا بمفردهما :

– هل أنت غاضبة مني ؟

ألقت بنفسها فوق السرير دون أن تنظر اليه :

– لا .

قطب " چوناثان " جبينه . كان ينتظر أي شيء عدا هذا الانهيار الذي يشبه الهزيمة .

– ربما كنت في حاجة إلى نظرة جديدة تأتيك من الخارج .

– على الأقل لم أستوعب دروس رئيسي" الفاريدو " . إنه لم يكن قائداً ، بل دكتاتورا .

نهضت فجأة وأسرعت ناحية حجرة الحمام وهي تجري . عندما عادت ، كانت قد ارتدت قميص نوم وقد انتفخت عيناها . انزلقت داخل الأغطية بالقرب من "چوناثان" الذي كان راقدا بالفعل قبلها . ثم أطفأ النور وتمنى لها نوما هادئا. وقد أخذ يداعب شعرها .

– توقفي عن تعذيب نفسك من أجل ما حدث ، فلا يوجد شيء كامل . لقد أنجزت عملاً رائعاً .

فصعدت الدموع ثانية إلى مأقيها :

– إنهم لم يستطيعوا أن يخبروني ، فلجأوا إليك . إنك لم تحضر هنا سوى ثلاث مرات ، ومع ذلك فقد احترموك ، وأعجبوا بك . إنني أكاد أموت حسداً . إننا لسنا رغم ذلك في منافسة ، أتصرف وكأننا فعلا في منافسة .

سألها " چوناثان " برقة :

– هل هذا ما ورثته أيضاً من " الفاريدو " ؟

ساد بينهما الصمت . ثم همست أخيراً :

– بدلاً من أن أسمع نصائحك ، أخذت أعارضك ، ربما لأنني عندما أكون معك في السرير لا أعرف أن أقاومك ، فبحثت عن مجالات أخرى لتحقيق ذلك كي أثبت أنك لا تسيطر علي كلية .

ضحك وهو يضمها إليه ويقول :

– لم يوجد بعد من يستطيع السيطرة عليك ، أنت أكثر النساء استقلالا في العالم وأكثرهن عطاءً أيضاً . أليس هذا ما تودين أن أقوله ؟ هذا هو التناقض الذي سحرني كما لم يسحرني شيء من قبل .

أخذ قلب " سارة " يدق بعنف :

– إنها الرغبة التي تجعلك تقول هذا ..

– حسناً . إذن علاقتنا ليس لها معنى ، وأن كل ذلك ليس سوى تسلية كبرى . هيا نستغل ذلك ولا نفكر في الغد .

ابتسمت " سارة " وقالت :

– بصراحة يا " چوناثان " ....

– اصمتي وقبليني ..

* * *

جاء شهر يونيو بعد مايو ثم رحل شهر يونيو ليحل محلة شهر يوليو وازداد الضغط على " سارة " وكان الفريق يتوقع منها ألا تتخذ قرارات صعبة فحسب وإنما أيضاً أن ترفع من روحهم المعنوية .

لم يكن مسموحاً لها باليأس ، حتى لو كانت أكثر العينات أهمية ذات نتائج

www.elromancia.com

سلبية . ولم يكن باستطاعتها أن تبكي ، أو أن تحس بالإحباط رغم مواجهتهم جميعا سلسلة من المشاكل الفنية وعقبات منوعة . ولحسن الحظ كان المهندس ورئيس الميكانيكيين على أعلى مستوى من الكفاءة . ولكنهم أضاعوا وقتاً طويلاً والبرنامج المفروض تنفيذه أصبح مجهول النهاية رغم أنه كان من المفروض أن ينتهي في منتصف شهر أغسطس (آب) .

بدأ " جوناثان " ينضم إلى " سارة " في كل عطلة نهاية الأسبوع ابتداءً من الصيف .

لم تكف "جيل "عن الإعجاب " بالرجل المعجزة "، هكذا كانت تعتبره.. ردت عليها " سارة " في إحدى المرات وهي تضحك : " إنه معجزة بالنسبة لامرأة ساذجة مثلها " .

ومن ناحية الخطة المهنية ، لم تحدث أية مشكلة ، كانت القرارات تتخذ بطريقة جماعية ، لأن الجميع كان حرا في إبداء رأيه ، ومن هنا كان الجو السائد ممتازاً ولا يبعث على التوتر .

والحادثة الخطيرة الوحيدة قد وقعت في منتصف شهر يونيو . كانت "سارة " و"إيد" يستخدمان خليطاً من غازي " الهليوم " والأكسجين يسمى "هيلوكس" وهو ما يجنبها ما يسمى بـ "توار الأعماق " نتيجة للهواء المضغوط . وفي أحد الأيام بعد حوالي عشر دقائق من عملهما عندما بدأ " إيد " يقفز ويحرك "الماجنيتومتر " وكأنه لعبة . اعتقدت " سارة " أنه يمزح عندما رأته يلقي بالجهاز عن عمد ويتحرك بدون هدف . نزع خرطوم أنبوب التنفس وقدمه إلى سمكة ، فأمسكت " سارة " به من أحزمة زي الغطس خلف خزان الهواء وقادته إلى الغواصة .

لم يمض وقت طويل في فحص محتويات خزانات الهواء ، كان الهليوم في الحقيقة الذي كان يحتوي عليه " الهيلوكس " قد أدى إلى الضغط على الأحبال الصوتية ، وأصبح " إيد " بعد عشردقائق يتكلم بطريقة " دونالد دك " في أفلام " والت ديزني " .

إلى هنا والأمر يبدو طبيعياً ، كل ما هو مطلوب بعض الهواء المضغوط .

ومن المؤكد أنهما لم يكونا في خطر حقيقي ، ففي حالة وجود مشاكل كان من الممكن أن يحضر " جيم " و " ماكس " لمساعدتهما . ولكن ذلك بدا غريباً . عندما علم "جوناثان " بذلك ، ثار غضباً وركب أول طائرة وأخضع كل الفريق إلى تحقيق دقيق . تم تحديد الخطأ . يبدو أن بحاراً مكسيكياً اسمه " إميليو أورتيز " قد أخطأ وهو يقوم بملء الأسطوانات . ورغم اعتراضات " سارة " أصر " جوناثان " على طرده وترحيله إلى الجزيرة . وتطلب الأمر يومين حتى عادت الأمور إلى طبيعتها .

* * *

فهمت " سارة " في منتصف شهر يوليو أن من الضروري تغيير اللسان الذي كانوا يعملون عنده . لكنهم ضلوا الطريق ، ووجدوا أنهم قد يصلون إلى "سان أنطونيو " في كوبا . وهناك قاموا بتفتيش المنطقة التي تم العثور فيها على الهلب الحجري . تركت " سارة " الفريق في جزيرة " ماچير " ، ثم طارت إلى "واشنطن " ، وطلبت مقابلة الأدميرال " تايلور " ، فقد كان الأمر يتطلب تصريحاً رسمياً إذا كان لابد لهم من أن يغامروا بالبحث في المياه الإقليمية لـ"كوبا " .

حصلت على التصريح دون صعوبة ، وأدهشها أن قدم " تايلور " شرحاً :

– إذا ضايقوكم ، يمكن لـ " ماكس" أن يعيد برمجة جهاز الاستشعار بالموجات الصوتية تحت الماء وما إن يفعل ذلك ، فإن الطريقة الوحيدة لاختبار القدرات الحقيقية هي الصعود . وعليه فإن الكوبيين ليس لديهم التكنولوجيا اللازمة للتغلب عليه . وسيحطمون جهاز الصوت دون أن يفهموا نوعية ما أمام عيونهم .

أعادت " سارة " يوم الجمعة مساءً هذا الحديث على مسامع كل أعضاء الفريق وقد حضر " جوناثان " هذا الاجتماع ، وكان قد حضر إليهم صباح نفس اليوم وعقد اجتماعا ضم كل المهتمين الرئيسيين وأعطى رأيه حول الموضوع . كان يرى أن من الخطر الداهم المغامرة بالقرب من المياه الكوبية . كان الكوبيون قادرين على اكتشاف كل شيء والقبض على الجميع وتقديمهم للمحاكمة باعتبارهم جواسيس وإلقائهم في السجون .

لم ينتبه الجميع لفترة ولكن بعد شهر من الفشل المتكرر ، صمم الفريق على أن يحول البعثة إلى النجاح . ولو حمتهم البحرية فإن ذلك يكفيهم . ولكن "جوناثان" لم يعر تبريراتهم أي انتباه .

عقد ذراعيه فوق صدره ، وأعلن أنه يرفض الموافقة على تلك الخطة . اعترضت " سارة " .

– لا يهم . على أية حال سنستمر بك أو بدونك .

– ليس بدون وقود أو مال . بعد أن أرسلت كل الناس إلى جزيرة " ماچير " أراهن أنه لم يبق معك سنت واحد . وبدون نقود لن تستطيعي التحرك إلى أي مكان .

سألته بصوت ناعم :

– إنني لم أسمعك أبداً تتحدث عن الائتمان .

– يا عزيزتي . إنك تتحدثين مع رجل بنوك ، ويكفي أن أجري مكالمة أو مكالمتين تليفونيتين وتنقطع كل الأموال المودعة لحساب المشروع .

– " جوناثان " !

– ماذا؟

نظرت حول المائدة. كان الجميع يبتسم ... اقترح " إيد " وهو يمازحها :

– قولي له : إنك لن تتمامي معه ما لم يسحب اعتراضاته .

قاطعه " جوناثان " ساخراً :

– لقد حاولت ذلك مرة ، ولكنها لم تفلح.

ضحك كل الحاضرين ، فنهضت " سارة " وهي تحدث صوتا بمقعدها وقالت :

– عندما تنتهوا من نكاتكم السخيفة ، أرجو أن تخطروني . أنا موجودة في مقصورتي .

عندما وجد " جوناثان " أن " سارة " قد رحلت ، عرف أن الحفل فسد . لقد أصبح بمفرده ضد الجميع . واذا ما تسبب في فشل مشروع " سارة " فلن تغفر له ذلك أبداً .

زفر وهو يهز رأسه :

– يا لها من شخصية !

لم يعد أحد يضحك . وبعد بضع لحظات من الصمت المحرج أعلن " شارلي لورنس " :

– أعتقد أن بإمكاني الحديث نيابة عن الجميع يا "جوناثان" : ستستمر في المشروع بطريقة أو بأخرى .

– موافق .. ولكن .. لماذا لا ننتظر بعض الوقت كي تحصل على الضوء الأخضر من الكوبيين؟

– إن موسم الأمطار يقترب ، وليس لدينا وقت .

– اسمع . إن شركتي تتفاوض بشأن اتفاقات مهمة مع الكوبيين . وفي حالة تدهور الأمور فإنني سأستخدم كل قوتي وثقلي ، كي أضغط عليهم . ولكن لن أستطيع أن أشترك في هذا الأمر ما لم تمنحوني حرية اختيار الطريقة لمنع ارتكاب حماقات ، وذلك عن طريق منحي السلطة المطلقة فوق السفينة .

انتهى بهم الأمر إلى الاتفاق على وجهة نظره ، ولم يبق سوى مشكلة "سارة" . عندما أخبرها " جوناثان " عن الكيفية التي سارت بها الأمور ، أصبح من حقه الحصول على أجمل منظر رآه في حياته ! لقد أراد السيطرة عليها واستخدامها كإحدى ممتلكاته ولم يبحث إلا عن السلطة .. فاستبد بها الجنون والغضب وانتهى بها الأمر إلى طرده من المقصورة . ثم صاحت بعد أن ألقت وراءه بحقيبة سفره :

– لا تنس أن تأخذ هذه اللعينة معك .

تناول الحقيبة ، دون أن ينطق بكلمة ، وتوجه ناحية الباب وهو لا يفهم ما يحدث، وكانت " سارة " تنظر إليه بعواطف متناقضة تماماً .

لقد حصل " جوناثان " على موافقة جميع أعضاء الفريق ، فلماذا إذن ترفض أن تتعاون معه ؟

صاحت وهي تضع يدها على مقبض الباب :

– لقد مللت من أن ألعب لعباً نظيفاً . وسئمت من ادعائك أنك تفعل ذلك لمصلحتي وكأنني ساذجة ، وعاجزة ، ومخدوعة ، وغير مسؤولة ، وأنك هنا

www.elromancia.com

لحمايتي فقط !

عندما استدار فجأة ، ضبطت في نظرته لمعاناً ينبئ عن عذاب لا حدود له ، حاول أن يخفيه تحت قناع عدم الاهتمام .

– لقد حدث أنني أصبحت عاشقاً لك ، ولكن يبدو أن هذه ستكون آخر إهانة منك لي .

أخذت " سارة " ترتعد كورقة في مهب الريح :

– هذه مشكلتك .. لم أطلب منك شيئاً .

– إنني مدرك لذلك تماماً . ولا أشك أيضاً في أنك يمكنك أن تستمري في حياتك دوني ، ومع ذلك ، فإن هذا لا يمنعني من أن أقلق ، ولابد أن يسبب لي ذلك مشكلة ...ثم استدار وقال :

– تصبحين على خير يا " سارة " .

فجأة لم تعد تحتمل أن تراه يرحل ، رغم أنها هي التي طردته . أحست باليأس وغليان العاطفة ، فمسحت دموعها بظهر يدها وعبرت المقصورة كي تنظر من النافذة الدائرية إلى الممر ، انتظرت في قلق صوت فتح الباب وغلقه ، ولكن ذلك لم يحدث . ثم سمعت صوت أقدام " جوناثان " تتجه نحوها ، وضع يديه فوق ذراعيها . فاستدارت وارتمت في أحضانه وهي ترتعش من البكاء .

* * *

الفصل الرابع عشر

كان " ماكس ليبرمان " على حق، فإذا نظر المرء طويلاً إلى شاشة جهاز الصوت يتحول كل شيء في عينيه إلى شبكة من الخطوط الغامضة والدوائر التي ليس لها معنى . وقد حدث ذلك بعد ثلاثة أيام من وصولهم إلى اللسان المطل على " كوبا " ، إذ لم يعد يرى شيئاً . لم يتوصلوا حتى للعثور على الهلب الحجري وبالتالي على السفينة التي ينزل منها .

كان من الواضح أن الكوبيين – رغم علمهم بما يحدث وما يوجد بين الأنقاض وما يرون بأعينهم في نهاية الجزيرة – لم يتحركوا .

عندما تحين الفرصة ، سيحدث ذلك بسرعة لن تصدقها " سارة " .. ظهر على الشاشة ذلك الشيء المثلث الشكل ، وكان يشبه الهلب إلى درجة كبيرة ، حتى ظنوا أن ذلك مجرد وهم أو خداع نظر ، كان مغروساً تحت عمق عشرين مترا ، ويظهر الجزء العلوي منه فقط ، وقد تغطى بالرواسب ، وكانت العواصف قد أزالت تلك الرواسب بشكل ظاهر... قالت " سارة " لـ " ماكس " :

– سأذهب للبحث عن " إيد " و " جوناثان " .

كان الرجلان يقتلان الوقت بلعب الورق في حجرة ضغط الهواء . وبعد عدة دقائق كانا ينظران إلى الشاشة ، في حين أخذ " جيم " يناور كي يفحص اكتشافاتهما من جميع الأوجه .

لبست " سارة " و " إيد " زي الغطس في صمت مليء بالإثارة ...

ما إن وصلا إلى المكان ، حتى أخذا في نزع ذلك الشيء بأيديهما . عندما أتما ذلك ، صعدت قطعة من الطمي اللين إلى السطح ، وأظلمت نطاق بحثهما . حفرا ثقباً بآلاتهما حول الهلب ، ولكن على مسافة بعيدة جداً عنه . وفي لحظة معينة وضعت " سارة " يدها فوق قطعة مستديرة وملساء من الحجر . أشارت عنها إلى " إيد " ، فاكتشفا أنها قطعة من كومة حجارة، وكان البحر مليئاً بهذه

www.elromancia.com

البقايا والشظايا،وكانت السفن تلقي بالأحجار لتخفف من حمولتها ، قبل أن تذهب لتحميل البضائع . كانت الحجارة التي عثر عليها " إيد " و " سارة " من ذلك النوع ومن المحتمل أنها سقطت منها نتيجة لجنوح باخرة بسبب العواصف.

ولما لم يظهر أي أثر للحطام ، عادا إلى الهلب واستطاعا بعد جهد جهيد ، أن ينتزعاه من مكانه .

وعندما خرجت " سارة " و " إيد " من حجرة الضغط كانت الغواصة قد رفعت ، ووضعت فوق السفينة . وكان كل الطاقم بانتظارهما فوق السطح ، واستقبلوهما بالصياح والهتاف والتصفيق .. أخذت "چيل " تداعب الهلب وهي تقول :

– كم هو جميل .

صاحت " سارة " وقد تقطعت أنفاسها :

– إذن ...أين الاحتفال ؟

تقدم " چوناثان " نحو " سارة " وقد التمعت عيناه وقال :

– تهنئتي لك.

لكنها ظلت بعيدة عنه ، واكتفت بتقبيله .

منذ أن تولى السلطة في إدارة العمليات – والتي لم تر هي أي تغيير حدث منذ توليها – نشأ بينهما نوع من التوتر الخفي . وقد يرجع أيضاً إلى إرهاق "سارة " التي استجمعت كل قوتها كي تفوز . ومع ذلك فإن تلك المسافة التي باعدت بينهما قد اختفت في الليل .

بدأ الفريق يتجه في اليوم التالي نحو الشرق ببطء . اكتشفوا في نهاية فترة ما بعد الظهر هلباً أخر ، ولكن لا أثر هناك للسفينة نفسها .. ملأت " سارة " حقيبتها بأشياء منوعة .أحست أنها قد تقودها في طريقها الصحيح .

وكان أكثر اكتشافاتهم إثارة ، جرة غير معروفة الطراز . مما جعل " سارة " أكثر تفاؤلاً . وبدا أنه لا مفر– من لحظة لأخرى – أن يكتشفوا الحطام والبقايا التي يبحثون عنها .

* * *

استغرق منهم إخراج الهلب الثاني يومين ، ثم تابعوا طريقهم . وفي صباح أحد الأيام عثروا على أوان فخارية جديدة ، وأحجار مستديرة ولا أثر هناك للسفينة . عندما ظهر الدليل الذي كانوا يبحثون عنه كان ذلك بمثابة خلاص غير متوقع . كانت " سارة " تلعب الورق مع " إيد " و "چوناثان " في حجرة ضغط الهواء عندما وصلهم – بالميكروفون الداخلي – الخبر الذي جعلهم جميعاً يصيحون:

" يا إلهي ! "

ألقوا بالورق جميعاً في الحال ، وأسرعوا ناحية الشاشة . رأوا هناك صورة فوتوغرافية واضحة ترسم مقدمة السفينة وبجوارها تماما " هلبان " . كانت السفينة مغروسة بعمق كبير في الطمي ، وطولها حوالي ثلاثين مترا ، وهي دون شك غريبة وغير مألوفة وسليمة .

* * *

وقف " چوناثان " بالقرب من " ماكس ليبرمان " و "چيم " ، يراقب " إيد " و " سارة " وهما يعملان ، وقد ظهرت فقاقيع الأكسچين . وبعد مدة أخذ يفرك عينيه وقد تعب من الحملقة في الشاشة .

ثم قال لهما :

– أتريدان أن تشربا شيئاً ؟

وافقا ، وذهب "چوناثان " كي يحضر علب المثلجات من الثلاجة . وعندما عاد لاحظ ظلاً فوقهم . فأخذ يتفحصه وهو يفتح العلب ، ثم قال بهدوء :

–يبدو لي أن هناك سفينة تحتنا على اليمين بعض الشيء .

رفع الرجلان عيونهما ، وفي الحال نادى " ماكس " الغواصة ، وبعد محادثة قصيرة مع " شارلي لورنس " تأكدت شكوكهم .

لقد لاحظوا هم أيضا الباخرة . وقاموا بتحديدها والتعرف عليها . كانت باخرة كوبية . أعد " كلاي "تقريراً منظماً وافياً وعلمياً حول الاكتشاف الذي قاموا بتحقيقه .

في ذلك الوقت أشار " چوناثان " إلى " ماكس " أن يتحدث عن الحطام

www.elromancia.com

في ذلك الوقت أشار " جوناثان " إلى " ماكس " أن يتحدث عن الحطام والكهوف مع الغطاسين كي يبدو طبيعياً أمام الكوبيين الذين كانوا دون شك يتصنتون عليهم .

عندما انقطع الاتصال ، تحول " ماكس" إلى " جوناثان " وقال :

– والآن .. ماذا نفعل ؟

– استدع " إيد " و" سارة " بحجة أن هناك مشكلة فنية . وعليك أن تعيد في الحال برمجة الكمبيوتر .

– أنخطر " سارة " بالتعديل ؟

– لا .. هي بالذات .

– حسناً .

بدأ " ماكس " بالضغط على مفاتيح الكمبيوتر ، وعندما رأى " جوناثان " أن " إيد " و" سارة " قد لحقا بغرفة الضغط ، ضغط على زر الميكرفون الداخلي وصاح :

– " سارة " ؟

– نعم .

– هناك باخرة كوبية تراقبنا ، وهي أمامكما على اليمين بعض الشيء .

تبادلت " سارة " النظرات مع " إيد " ، وأحسا بالقلق والدهشة في آن واحد .

– والكمبيوتر ؟

– تم تعديله ولكن .. ولكن ما هذه الصدمة ؟! أحست " سارة " فجأة بالغواصة تتراجع بكل قوتها ، وأحست بعدم الراحة من وجودها محصورة في حجرة الضغط وقد انقطعت عن بقية العالم.

– إنهم .. إنهم يستعدون لإطلاق (طوربيد) ويبدو أنه مر أمامنا . انتبهوا إلى ما سيحدثه من دوامة .

صاح " إيد " :

– طوربيد ؟

– نعم .. احتفظ بهدوء أعصابك وانتبه .

بعد خمس ثوان ، أخذت الغواصة تهتز وكأنها ريشة في مهب الريح ، وكانت الكلمات التي استطاعوا التقاطها باللغة الإسبانية .

وكان الكوبي الذي يتكلم اسمه " الكولونيل دوران " وطلب منهم تعريف أنفسهم .

احتج " جوناثان " بقوة ، وهو يشير إلى القواعد والأعراف الدولية .

سألت " سارة " " إيد " الذي كان يفهم الإسبانية :

– لماذا لم يطلب من " جيم " أن يصعد ؟ إذا فتشوا الغواصة فلن يجدوا شيئاً .

– أعتقد أنهم ثائرون من الناحية الشكلية .

جلس " إيد " على مقعد " سارة " :

– على أية حال ، فأنا مسرور لأن " جوناثان " موجود فوق سطح السفينة كي يواجه الموقف .

جاء صوت " جوناثان " في الميكروفون :

– سنصعد ، ولكنني أريد أن تكونوا على اتصال بالأدميرال "كوينتيرو" وأن تخطروه بأنكم هاجمتم بعثة آثار تحت قيادتي أنا " جوناثان هيلي " من مؤسسة " ماكميلان وهيلي ولينش " لقد دعي " م جيرالد لينش " ثلاث مرات لزيارة كوبا هذا الربيع وهذا الصيف . وقد ناقش شروط عقد مهم جدا مع الرئيس " كاسترو " شخصياً .

– اصعد للسطح يا سيد " هيلي " ... سنقودك إلى ساحلنا .

مضت فترة صمت قصيرة ، ثم قال " جوناثان " بالإنجليزية :

– لقد قطع صديقنا الكوبي الاتصال يا "جيم" هيا بنا نذهب .

ووضع " إيد " ذراعه حول كتف "سارة" ، وقام " جوناثان " بإخطار "لورنس" لاسلكياً بما يحدث ، وطلب منه ألا يتحرك ، وأن يخطر السلطات الأمريكية .

ظهروا بالقرب من الباخرة الكوبية ، وتطلعوا في صمت فوجدوا ثلاثة رجال من الضفادع البشرية يغطسون ، ثم يربطون حبالاً بالغواصة كي يرفعوها فوق سطح الباخرة . اهتزت الغواصة بطريقة مخيفة قبل أن تصطدم بالسطح بعنف. خرج "جوناثان" أولا . وقد استقبله ستة أشخاص مسلحين ، وقد

www.elromancia.com

صوبوا بنادقهم نحوه . تقدم ناحية القائد وهو يقدم نفسه ، وبدأ حديثه بسلسلة من الاعتراضات ، وتقدم بحاران منه ، واضطراه إلى أن يقف ثابتاً ظل القائد صامتاً وهو يفحص وجهي " كلاي " و " ليبرمان " اللذين تبعا " جوناثان " سأل " دوران " :

– وأين بقية فريقك يا سيد "هيلي" ؟

– هناك غواصان بحجرة ضغط الهواء .

– أشار " دوران " بيده إلى الغواصة :

– تفضل أمامي يا سيد " هيلي" ... ليس كل يوم يستطيع المرء أن يشاهد جهازاً معقدا مثل هذا .

لم يكن أمام " جوناثان " فرصة الاختيار ، إذ يجب عليه الطاعة ، صحب "دوران " ومعه ضابط آخر وأربعة جنود مسلحين ، وما إن دخلوا الغواصة ، حتى أشار " دوران " بإصبعه إلى الباب المستدير الذي يقود إلى الحجرة ، وحاول أحد الرجال فتحها . أراد " جوناثان " أن يسارع إليها ، ولكنه وجد نفسه في مواجهة فوهة بندقية . قال "جوناثان " لـ " دوران " :

– لقد فهمت خطأ دون شك . بقيت ثلاث ساعات ونصف من الضغط للغطاسين بالداخل .

– آه .. نعم : مرض الأماكن المغلقة ، يقال أن الألم رهيب .

أشار " دوران " إلى رجلين ، بأن يسحبا "جوناثان " للخلف ، فأمسكا بذراعه. فتحت البوابة . كانت " سارة " و" إيد " واقفين داخلها ، أمرهما القائد بالخروج ، فتقدما للأمام .

لم يفت "جوناثان "اللمعان الذي ظهر في عيني " دوران "عندما شاهد "سارة ".

–أقدم لك السيد " إيد ستموني " و " دكتورة سارة بايرز الفاريدو " وهي أرملة الأستاذ " هومير الفاريدو " الذي يحظى باحترام كبير في كوبا .

– فعلاً .

تقدم " دوران " وقام بتقبيل يد "سارة" التي كانت في شدة الدهشة ، فتركت له يدها وهي ساهمة :

– تشرفنا يا سيدة " الفاريدو " ... لقد كنت معجبا جداً بزوجك . ولكنك تفهمين

– وأنا متأكد من ذلك – أنه يجب علينا تفتيش غرفة الضغط .

لم تجب " سارة " . كانت غاضبة ومرعوبة في آن واحد . كما كان منظر "جوناثان " وهو مقبوض عليه بين رجلين مسلحين قد أوشك أن يصيبها بالإغماء. عندما رآها " جوناثان " تشحب أحس بالغيظ ، وبأن الألم الذي تعانيه لابد وأن يكون غير محتمل.

– بحق السماء يا " دوران " أرجع صديقي إلى حجرة الضغط ...

– سنرى ذلك فيما بعد .

دخل الضابطان في الكابينة وقلباها رأساً على عقب وهما يفتحان كل شيء ويستخدمان السكين في تمزيق المراتب ويبعثران الأوراق ويمزقان الكتب . قال "دوران " وهو يغلق باب المدخل المستدير خلفه :

– والآن ... بقية غواصتك يا سيد "هيلي" .

– عندما يعود الغواصان إلى الحجرة ..

– إن هذا الأمر يدهشني .

هز "جوناثان" كتفيه :

– إنك تعرض وظيفتك للخطر يا كابتن ...

وقبل أن تتمادى .. أنصحك للمرة الأخيرة أن تتصل بالأدميرال "كوينتيرو " وتخبره بأنك بصدد تحطيم الاتفاقات الاقتصادية وتتحمل بذلك قضية لا قبل لك بها فوق ظهرك وأنت تعذب أرملة " هومير الفاريدو " وتهينها .

– سيبقى غطاسوك هنا الوقت الذي يحلو لي . فهم " جوناثان " . أنه لا فائدة من وراء الإلحاح .

صاح وهو يصر على أسنانه :

– اذهبوا وأحضروا " كلاي " و" ليبرمان " وأنا شخصياً لا أفهم شيئاً عن هذا الجهاز ..

مرت عشر دقائق منذ خروج "إيد" و"سارة" من غرفة الضغط ، بدت هذه المدة لـ "جوناثان " وكأنها عشر ساعات ، انحنى "كلاي " و " ليبرمان " فوق جهاز

الصوت البحري . وكان "دوران" يتحدث الإنجليزية بطلاقة وكان يبدو أنه أحد أعضاء جهاز المخابرات الكوبية . مرت الدقائق وكان وجه "سارة" مثل قناع من الخزف ، لا يدري "جوناثان" ماذا تخبئ خلفه وفجأة لمح تقطيبة ألم سرعان ما اختفت . بدأت "سارة" تحس بألم لا يطاق في ساقيها ولم يبد أن "إيد" كان يعاني كثيراً ، ولكن المسألة كانت مسألة وقت . ولابد أن بجسدهما كمية كافية من النيتروجين جعلتهما يتحملان حتى هذه اللحظة .

بدأ الألم يصعد إلى فخذها . أغلقت عينيها ، وهي تصارع الدوار . وعندما شاهد "جوناثان" أن وجهها قد تغير لونه قرر ألا يستمر ذلك .

– أدخل الغواصين إلى حجرة الضغط يا "دوران" .. لم يتحرك "دوران" ...

– إذا لم تعط الأوامر يا كابتن "دوران" . فستضطر إلى قتلي ، لأنه ليس لدي النية أن أشاهد ما يحدث دون أن أتحرك.

– ياسيد "هيلي" ..

في هذه اللحظة ترنحت "سارة" وهي تطلق أنيناً مؤلماً . ضرب "جوناثان" بكوعه بطن الحارس الذي كان على يساره واندفع ناحية "سارة" دون أن يعنى بالرجل الذي كان يصوب مسدسا إلى رأسه . صاح "دوران" .

– لاتطلق النار !

وسقطت "سارة" بين ذراعي "جوناثان" .

قال "جوناثان" وهو يتجه إلى فتحة الغواصة :

– اتبعنا يا "جيم" وارفع الضغط تدريجيا حتى الدرجة الخامسة عشرة ، وسأظل خمس دقائق بالداخل للتأكد من أنها بخير .

ما إن وضع "جوناثان" "سارة" فوق مقعد حتى بدأت تتشنج ، كان الألم والخوف قد شد أعصابها إلى أقصى حد . ثم بدأت تهدأ وهي تستنشق الأكسجين الذي كان يقدمه لها "إيد" ببطء . أخذ الألم يقل شيئاً فشيئاً وكذلك القلق .

ما إن أخذ تنفسها ينتظم حتى تمددت .. قبلها "جوناثان" وهمس في أذنها أنه يجب عليه أن يخرج ، ثم استدار ناحية "إيد" .

– هل كل شيء على ما يرام ؟

هز "إيد" رأسه موافقاً ..

عندما عاد "جوناثان" ثانية إلى غرفة القيادة ، وجد الجو قد تغير تماماً . اختفى المسلحون وبدا الضابطان وكأنهما سائحان وليسا من أعضاء المخابرات. كانا يتناقشان بطريقة طبيعية مع "ليبرمان" الذي شرح لهما كيف أن البعثة تكونت من أربعة أشهر على جزيرتي "النمر" و "يوكاتان" قبل الحضور إلى ذلك المكان . كان "دوران" يهز رأسه وهو يقول إنه فهم . سأل وهو ينظر إلى "جوناثان" .

– هل غطاساك في حالة جيدة ؟

– هذا ما يبدو ، ولكن هذا النوع من الهذر قد تكون له آثار مدمرة ، ، وأنت تعلم ذلك .

فضل القائد أن يتجاهل ملاحظة "جوناثان" .

– إن السيد "ليبرمان" قد شرح لنا الهدف من البعثة . وإني آسف لأنه لم يتح لي الوقت الكافي للاستفادة من الدروس حول قدرات غواصتكم وإمكاناتها . إنهم يطلبونك لاسلكياً يا سيد "هيلي" : الأدميرال "كونتيرو"

تبع "جوناثان" "دوران" خارج الغواصة وظل بالقرب منه طوال محادثته مع "كونتيرو" رفض الأدميرال الاعتراف بأن ضابطه استعمل طرقا فاشية قاسية . وادعى أن الغواصة كانت مريبة . وأكثر من ذلك طلب رفع الهلب الخاص بالسفينة "سيز توكر" والرحيل فوراً وعلى متنها الغواصة "سيشمتر" وأضاف "كونتيرو" عندما قبل "جوناثان" :

– من المؤكد أننا سننظر في المستقبل بمنظور آخر إلى أعمال السيدة "الفاريدو" .

والحكومة تدعوكم للحضور في الحال لقضاء بضعة أيام في "هافانا" .

فكر "جوناثان" بمعنى آخر ، فإن الحكومة ترجو "كونتيرو" كي يصلح الأواني المكسورة ،أعلن "جوناثان" وهو يضغط على فكيه أنه يقبل الدعوة بكل سرور .

www.elromancia.com

الفصل الخامس عشر

كان قائد البحرية الكوبية الأدميرال " كوينتيرو" شيوعيا عن اقتناع، وسياسياً فذاً . لم يكن يحب الأمريكيين ، ولكنه كان يكره أن يؤدي تدخل " دوران " إلى وقوع أزمة دبلوماسية .

إن الكشف عن واقعة سوء معاملة أرملة " هومير الفاريدو " ستثير غضب أمريكا اللاتينية كلها . أما بالنسبة لما حدث لـ "چوناثان" فقد كان البلد يبحث عن المعونة الدولية ويسعى لجذب رؤوس الأموال ، فقد كان عملا يتسم بالنزق .

لقد أعلن لـ "چوناثان " في لهجة محسوبة :

- بالنسبة لهذه الفعلة غير الحميدة ، فقد كانت بسبب الحرص على أمن "كوبا"، إذا ما أخذنا في الاعتبار الضغوط التي تمارس على بلد صغير .

وطلب منه أن ينسى هذا الحادث المؤسف والنظر بإيجابية نحو المستقبل ، في سبيل توسيع نطاق المعرفة .

لم يجد " چوناثان " ما يمكن أن يعيبه على كلامه ولكن - في مقابل ذلك - طلب تفسيرا حول هجوم " دوران " . لا شك أنه كان من المعلوم السبب الذي من أجله جاءت " سارة " وفريقها . فلماذا إذن تعرضوا للمضايقة الفجائية بسبب وجود علماء الآثار الأمريكيين ؟ طلب " كوينتيرو" لحظة للتفكير ، واتصل هاتفياً بالسلطات العليا ، ثم عاد إلى "چوناثان" وأخبره أن طلبه قد قبل.

لقد كان الكوبيون يعجبون منذ شهور طويلة بمتابعة أخبار أبحاث " سارة الفاريدو " في الجرائد المكسيكية و الكوبية والأمريكية .

كما أنهم لم يجهلوا موضوع العثور على الهلب في عرض بحر " سان أنطونيو" وأنه كان له قيمة أثرية كبيرة ، فلم يدهشهم أن يروا " سيز توكر " وهي تتجه نحو " كوبا " ولكن بحاراً مكسيكياً ، كان قد قبض عليه منذ شهر لإدخاله بضائع ممنوعة ، أكد على أن البعثة في حقيقة الأمر غطاء لعملية جاسوسية .

وكان قد اعترف بذلك من تلقاء نفسه كي يطلق سراحه بسرعة ، وادعى أنه

سمع تلك القصة من أحد أبناء عمه الذي يعمل في جزيرة " النمر ".

أصر "چوناثان" بعد ذلك على معرفة المزيد ، ولكنه لم يظفر بأية كلمة أخرى.

لم يكن "چوناثان" يؤمن بأفراد العصابات الذين يقبض عليهم ، ولديهم معلومات مهمة يريدون الإفضاء بها إلى الشعوب المعادية.

كان كل ذلك يمثل فخاً خادعاً . وأصر على أن يعرف القصة الحقيقية .

كان قد أخطر بأنه لابد أن يذهب إلى جزيرة " النمر " أولاً عندما يغادر "كوبا" ، ولكنه غير رأيه ، وقرر الذهاب إلى " برمودا" ومنها إلى " مونت كارلو " ثم إلى "نيويورك" وكان لديه شعور بأن تلك الرحلة ستكون أكثر الرحلات ثقلاً عليه ..

* * *

كانت الليلة الأولى التي قضاها فوق " سيز توكر " بعد التحقيق الرهيب مع "دوران" .

قفزت "سارة" مفزوعة ، وقد غطى العرق جبينها ، لم تتذكر سوى الجزء الأخير من حلمها :

لقد صرع أحد الجنود "چوناثان". وضعت وشاحاً على كتفيها، وصعدت فوق سطح السفينة كي تطمئن عليه وهي مشحونة بالأفكار .لقد كان " چوناثان " بخير ، وكان قد توقف عند حجرتها قبل أن يرحل في الباخرة الكوبية لمقابلة الأدميرال "كوينتيرو" في "هافانا" ، وكانا قد ودعا بعضهما وداعاً مؤثرا . ومن الطبيعي أنهما سيلتقيان بجزيرة " النمر " بعد أيام .

لم تتأثر صحتها ، ولقد انتهى كل شيء على ما يرام أخيراً . وإذا ما جاءت نتيجة تحليل العينات إيجابية ، فإن مستقبلها العلمي سيكون باهراً .

بقيت بعد ذلك حياتها الخاصة . بعد أن عاشت تلك الفترة مع "چوناثان" ، فهمت "سارة" أنه يحبها حبا جماً وعميقاً،أكثر مما كانت تعتقد . ولكن اكتشافها تلك الحقيقة أقلقها وأزعجها كثيراً وأصبحت لا تدري ماذا تفعل في ذلك .

هل يجب عليها أن تغير حياتها كي تبقى بجانبه ؟ هل تترك " جورهام " لتنتقل إلى " نيو إنجلاند " ؟

وصلت " سيز توكر " إلى " سانتا روزا " في صباح اليوم التالي: الأحد ، ولما كانت "چيل" ملهوفة على بدء اختبار الأشياء الأخيرة التي أحضرتها البعثة كانت "سارة" أكثر لهفة على تسليم العينات إلى المكسيك . وعندما عادت في اليوم التالي كان ذلك من أجل أن تعرف ماذا دار في مكالمة "چوناثان" التي لم تستطع أن تستقبلها بنفسها .

سألت "چيل" :

– بماذا أبدأ ؟ بالعينات ؟ أم بمكالمة "چوناثان" ؟

أجابت " سارة " وهي تتبع "چيل" إلى المعمل :

– بالعينات .

– إن التمثال الصغير مصنوع من حجر اليشم ، وكان موضوعاً في حمام بجوار إناء من الفخار .إن له شكل نمر " الچاجوار " وينقصه المخلب والذيل . وفي حمام آخر كان هناك " نارچيلة" وعدد من الغلايين .

إن وحدات الزخرفة المتكررة فوق آنية الفخار كانت مشابهة تماماً لتلك التي عثرت عليها مع " هومير " منذ سبع سنوات مضت.أما بالنسبة لنمر "الچاجوار" والغلايين فقد سبق العثور على مثيلها في المواقع البدائية داخل باطن الأرض.

احمر وجه " سارة " من السرور وقالت :

– لم يبق سوى انتظار نتيجة الفحص بالكربون و الكوارتز . وعندما تصل النتيجة من المكسيك سنقيم احتفالاً كبيرا ... ماذا عن " چوناثان " ؟ ماذا قال لك ؟

– لقد وافق الكوبيون على استمرارك في حفائرك ، أما بالنسبة لـ "چوناثان" ، فليس باستطاعته الحضور هنا الآن ، لأن لديه عملاً عاجلاً لابد من تسويته ، وسيحضر في أقرب وقت ممكن .

أحست "سارة" ببعض الألم في قلبها . لقد أحست بالإحباط . لم يمر سوى أربعة أيام منذ رحيله ، ولكنها تحس بالشوق الرهيب إليه ، وبالنسبة للمستقبل ، فإن العلاقة التي تكون عن بعد لا يمكن أن ترضيها أبداً .

بانتهاء البعثة ، عاد بعض أفرادها لوطنهم ، والبعض الآخر إلى الخليج على سطح " سيز توكر " كي ينتهوا من بعض الدراسات الخاصة بأعماق المحيطات . بينما ظلت "سارة" فوق الأرض .

والآن وقد رفع عن كاهلها أكبر جزء من المسؤولية أصبحت تحس بالتعب الشديد.

مر أسبوع ، وذهبت كي تقضي بضعة أيام من الإجازة في "كوزميل" ، والتحقت بـ "سيز توكر" لمدة ثلاثة أيام عمل ، ثم عادت إلى جزيرة "النمر" بواسطة قارب بخاري .

لم يظهر لـ "چوناثان" أي أثر . وانتهى بها الأمر إلى الاتصال بالمكتب ، حيث أخبرتها "چودي" بأنه في اليونان ، وسيعود في عطلة نهاية الأسبوع .

يوم الجمعة ، طلبها مدير معمل أبحاث المكسيك بالتليفون . كان يحاول السيطرة على انفعاله بصعوبة ، لقد كانت ثلاث قطع من العينات تحتوي على كمية كافية من الخشب تسمح بتحليلها ، وقد دل التحليل على أنها تنتمي إلى العصر ما بين ٥٨٠ ق . م إلى ٦٥٠ ق.م . وأن السفينة لابد أن تكون من عصر قديم جدا، ولا يمكن أن تكون إسبانية وانحصرت ما بين السكان المحليين أو "الميتايوتاميين" .

ما إن وضعت سماعة التليفون ، حتى طلبت مكتب " چوناثان " كي تترك له رسالة . ولم تكن تعرف أنه قد عاد . ولكن "چودي" أخبرتها أنه عمل طوال اليوم ، وأنها ستوصلها به . وبدأت "سارة" تتساءل عما إذا كان يحاول تجنبها؟ ولكن كان من الصعب تصديق ذلك وخاصة عندما تذكرت كيف عرض حياته للخطر كي يحميها .

ولكن بعض الرجال قد يكونون غير مستقرين ويغيرون عواطفهم بسرعة .

عندما جاء صوته في السماعة ، عرضت عليه ببرود نتائج المعمل ، ثم أضافت:

– إنني أحس بالحزن لأنك لن تحضر احتفال هذا المساء .

– وأنا كذلك . وسأحضر عندما أستطيع ذلك . أوه ! انتظري ثانية واحدة . فهناك من يطلبني في التليفون الآخر .

حاولت "سارة" أن تكبح جماحها ، وعندما عاد مرة ثانية قالت له بتهكم :

"إنه ليس مجبراً أن ينتقل من مكانه إذا لم تكن له رغبة".

صاح فجأة :

– إنني أكاد أتحرق شوقالرؤيتك .ألا تعرفين مدى شوقي إليك ؟

ثم أضاف :

" إنه لن يتأخر في الحديث معها بعد ذلك " ثم جاءه اتصال عاجل فقال :

– انتبهي لنفسك يا عزيزتي ، سأحاول أن أحضر في عطلة نهاية الأسبوع .

غمغمت " سارة" في صوت منخفض بأنها مشتاقة إليه أيضاً ، ثم أنهت المكالمة.

أحست بعدم الراحة ، وبأنها خائفة بعض الشيء ، وكانت تخشى فجأة ألا يلحق بها .

وفي المساء ضحكت وتفكهت مع الآخرين ، ولكنها منذ أن أصبحت متأكدة من أن أحدا لا يراقبها ، ولن يلاحظ غيابها توارت عن الأنظار ، وعادت إلى مقصورتها . كانت منهكة ويكاد رأسها ينفجر . لقد اختفت فرحة الانتصار من حياتها تماماً .

عندما سمعت طرقاً على بابها ، طلبت من الطارق أن يدخل ، قبل أن تبتلع قرصي أسبرين .

دلفت " چيل " إلى داخل الحجرة ، وجلست بجوارها على السرير وهي تفكر .

قالت لها :

– إنك لست سعيدة .

زفرت " سارة " زفرة حارة وقالت :

– هذا أمر واضح ، وأرجو ألا يكون ذلك بالنسبة له نفس الشيء .

– أتصدقين ! إنه يعشقك بجنون . وأتوقع أن يطلبك للزواج ، ولابد أنه ينتظر فقط عندما تستعدين . وهذا كل ما في الأمر .

– كم أنت لطيفة ...

– لاءولكنني عملية . لقد تقدمت فجأة خطوات واسعة نحو تحقيق علاقة معه،

والمطلوب بعض الصبر . هيا قومي الآن ، فإن " روسيل " فوق سطح السفينة الآن . إنه يدعي الغضب لأنه لم توجه إليه الدعوة ، وكأننا كنا نعرف أنه موجود في الجزيرة .

تبعت " سارة " صديقتها ، ولكن فكرها حول "چوناثان" كان يطاردها . إنها الآن قادرة على أن تحدد اللحظة المناسبة تماما ، التي وقعت فيها أسيرة حبه : عندما كان يلقي محاضرته في كلية الدراسات العليا . وبعد أن انتهى من محاضرته واستعد للرحيل، كان قد ترك انطباعاً بالقبول لدى الجمهور .

في هذه اللحظة أحست باللهفة والخطر وعدم الأمان ، وحاجتها إلى من يحميها . وهي – كبقية النساء – لم تقاوم نقطة الضعف فيها .

قدم الشراب في حجرة الصالون إلى " روسيل " الذي هنأها . وكان الجميع حولها يضعون خطة التنقيب في الصيف القادم . وكان الجميع مقتنعين بأنه سيطبع العلاقات " مع " كوبا " في اليوم التالي .

رغم صعوبة الأحوال فقد استأنف الجميع العمل لإعداد التقارير الموجهة إلى معهد " بورت شارلوت " وإلى البحرية الأمريكية ، وكانت العودة إلى الدراسة قد اقتربت ، وكانوا يتناولون القهوة في فترة الراحة بعد الظهر عندما ظهر "چوناثان" .

ساد بينهم صمت تام للحظات ، ثم صاح الجميع وصفقوا ، وتقافزوا حول رقبته :

نهضت "چيل" ورفعت صوتها قائلة :

– مرحباً بممولنا المفضل ، و "چيمس بوند" البعثة الذي لا يبارى .. شكراً لك يا "چوناثان" .

– الشكر للجميع .

وجه "چوناثان" ابتسامة شاردة ، ثم التفت إلى "سارة" وقال :

– هل يمكنني أن أتحدث معك على انفراد ؟هناك أمر لابد من تسويته ، ويجب أن أحيطك به علما .

تبعته "سارة" ، وقلبها يدق بعنف ، ولم يكن ذلك الأمر هو الذي يشغل باله فقط .

www.elromancia.com

إذ كان الإرهاق الشديد بادياً عليه . وما إن أصبحا بمفردهما ، حتى أخذته بين ذراعيها وقبلته .

ولكن لم تكن هناك أية حرارة في رد فعله ، وإنما فقط الحلاوة والنعومة . فابتعدت عنه .

– إذا لم تعد تريد أن تراني ، فليس أمامك إلا أن تقول ذلك ، وأنا أستطيع أن أشفى من ذلك .

جاءها الرد همسا في أذنها :

– لست أنا الذي أريد ..

جذبها إليه ، وأجبرها أن تضع رأسها على كتفه ، ثم استمر في الحديث :

– لقد مررت بأسبوعين رهيبين ، ولم أكن أريد أن أشركك في الأمر ، ولكنني في حاجة إلى وجودك ، حتى وإن لم تقولي كلمة واحدة .

– تشركني في ماذا ؟

بدا جاداً لدرجة أفزعتها ، وكأن العالم سينهار فوق رأسه ، ويذهب به إلى المجهول .

– إن ابن عمي متورط في عملية تهريب التحف العالمية ، ولم أكن متأكداً من ذلك حتى مساء أمس ، ثم علمت أنه وصل إلى الجزيرة .

توقف لحظة وأكمل :

–وفي لحظة ما ، وجدت نفسي أحس ببعض الخلاص عندما اكتشفت أن بإمكاني ألا أواجهه بمفردي .. هل تأتين معي ؟

لم تلق " سارة " أية أسئلة ، وأمسكت بخصره وجرته معها . فأحس "چوناثان" من حركتها أنها ستقف بجانبه ، وهذا ما أشعل عاطفته .

وجدا " روسيل " في منزله الخاص ، يعمل على ملء أوراق عديدة . ابتسم عندما رآهما ، ومد يده إلى "چوناثان" ، ولكن الأخير تجاهلها ، وجلس فوق مقعد ذي مساند .

لم يسبق لـ " سارة " أن رأته على هذه الدرجة من الغضب . جلست بجواره وأمسكت يده . قال " چوناثان " عندما أغلق " روسيل " الباب :

– لقد أحببتك مثل أخي . وقد غفرت لك ، أشياء عديدة ، ولكن بسببك كانت المرأة التي أحبها تلقى مصرعها ، وهو ما لن أغفره لك إطلاقا وأحيانا تتملكني الرغبة أن أراك تتعفن في أحد سجون المكسيك ولكن هذا الأمر يجب ألا يقع في عائلتنا .

ونظر بعيداً ، وقد لمعت الدموع في عينيه .

– ثم هناك طفولتنا . يا إلهي .. يا " روسيل " .. كيف أمكنك أن تتورط في هذه القصة ؟

بدا " روسيل " مذهولاً تماماً وقال :

– ولكني لا أعرف عم تتكلم ..

– كفى ..

وضع " چوناثان " يده في جيبه ، وأخذ يبحث عن شيء ، أو لعله كان يحاول أن يمنع نفسه من الهجوم عليه .

– إنك تخسر مبالغ فلكية على موائد القمار في " مونت كارلو " ، وتنفق أموالاً طائلة على شراء الجواهر ، أكثر مما يسمح بها دخلك .لقد افتتحت ورشا صناعات يدوية في اليونان وفي العالم أجمع ، بدعوى البيع للسياح ، وهو غطاء ممتاز . والحقيقة أنك تبيع التحف المهربة وسط المصنوعات اليدوية للمليونيرات ، فهم على استعداد لدفع مبالغ طائلة وكان حضور "سارة" وفريقها سيسبب لك الإزعاج . إذا اكتشفوا موقعاً أثرياً فسيكون ذلك عبئا على ظهرك لسنوات عدة .وعليه قمت بتنظيم عملية تخريب ، يعاونك فيها الرجال الذين فرضتهم على "سارة" ، وأرسلت ذلك البحار الكاذب إلى "كوبا" كي يعترف بحكايات جاسوسية وهمية . ليس أمامك الآن أية فرصة يا " روسيل " ، إذا قلت إننا كنا في مأمن ، لأنك كنت تعلم أننا سنقضي الصيف في "كوبا" وتتخلص منا.

هز " روسيل" كتفيه وتوجه إلى البار كي يصب لنفسه كأساً دون أن ينطق بكلمة.

– أطالبك بأن تنهي عملية التهريب هذه في الحال ، واعلم أن على شركائك

www.elromancia.com

وعليك أيضاً ترتيب عملية تصفية فنادق "ميلي" ونواديه . وفي المستقبل ستظل خارج العمليات المالية العائلية .

ابتلع " روسيل" الشراب ، ولم يعبر وجهه عن أي انفعال . ثم ضحك ضحكة مفتعلة وقال :

- برافو يا " سارة " . لقد اعتقدت أنك حتى لو اكتشفت شيئاً بالقرب من سواحل "كوبا " فستستمرين في العمل على سجني ، لأن الكوبيين لم يكونوا ليسمحوا بإقامة قاعدة في أرضهم ، وليس لدي شيء ضدك . أرجو أن تعلمي هذا . ولم أفكر لحظة في إمكان وقوع ما حدث ، إلى أن حدثت واقعة غرفة الضغط . لم يكن لي أبداً دخل بما حدث .

قال " جوناثان " بلهجة لاذعة :

- إن أسفك يصل إلى صميم قلبي ، وسأعود غدا كي تطلعني على تفاصيل مغامراتك ، وأريد الأسماء يا " روسيل " وكافة التفاصيل .

ثم أمسك بذراع " سارة " وقال :

- هيا بنا نذهب .

أخذ رأس " سارة " يدور وهما يبتعدان في اتجاه الرصيف ، وقالت وهي تتلعثم :

- هل تعتقد يا "جوناثان " أن ذلك البحار " إميليو أورتيز " ...

- "أورتيز" و " فيرجاس " ، وحتى الطاهية والآخرين من المحتمل أنهم مجموعة من الأقارب المتورطين في الأمر . لو كنت بمفردي لما استطعت مواجهة الأمر ، وغدا سيكون الوضع على ما يرام.

حاولت "سارة" أن تكتم الأسئلة التي كانت تطارد عقلها لمعرفة كيفية كشفه تلك المعلومات حول مؤامرة " روسيل" ، واكتفت بالسير بجانبه . ما إن انفردا ببعضهما في مقصورتهما ، حتى تمددا فوق السرير وهي ملتصقة به .

- يا عزيزي .. إنه لم يكن يتخيل أن أحداً قد يصاب ، وهو أمر ليس رهيباً مثل تهريب المخدرات مثلاً .

ولكن انتظر .. أعتقد أنني بدأت أفهم .. إنك لم تحاول الاتصال بي من أجل

ذلك الموضوع ؟

- نعم . لقد كنت أخشى أن تنشري هذه القصة ، وأن تتسببي في فضيحة . لم أستطع أن أستقر على تقديم " روسيل" للعدالة . ولقد فكرت أيضاً أن أخفي عنك هذا الموضوع .ولكن فكرة أن نعيش معا وبيننا تلك الكذبة كانت أمراً مستحيلاً .

أحست "سارة" فجأة وكأن عبئا ثقيلاً قد انزاح عن صدرها .

- طوال مدة زواجي كلها لم يحاول "هومير " أن يفصح لي عن موضوع له هذه الأهمية . لن أتمكن يا "جوناثان" أن أوفيك حقك من الشكر طوال حياتي على كل ما أنجزته في هذه البعثة .لقد ساندتني ، ومنعتني من ارتكاب أخطاء قاتلة. وعلمتني الحب . يا له من صيف رائع .

ابتسم وهو يقول :

- هل هذه دعوة ؟

- ما دمت تقول هذا فهي غير مستحيلة .

تعانقا ، وحلت الرقة والحنان محل الرغبة ، ارتاح كل منهما بين ذراعي الآخر لمدة طويلة ، وهمست "سارة" في أذنه بصوت رقيق :

- أتدري أنني أحبك ؟

- أعلم ، ويمكنك أن ترددي ذلك كلما عن لك هذا ..

أخذ يداعب خصلة من شعرها وقال :

- إنني لم أكن أفكر في الأسبوعين الماضيين في "روسيل" فقط ، وإنما فكرت في حالنا أيضاً .

- وبعد ؟

- لقد تحدثت مع رجال جامعة " كولومبيا " وهي الجامعة الوحيدة في "نيويورك" التي بهامكا ن شاغر في تخصصك .

مازحته "سارة" قائلة :

- لطيف منك أن استعلمت . وماذا أيضا ؟

- حسناً إذن .. لقد حجزت في منطقة " تاقيرن أون ذي جرين" من أجل

زواجنا.

– مستحيل ، ما أعلمه أن الحجز يجب أن يتم قبل سنة من موعد الزواج .

– ولكني حصلت على حجز في شهر نوفمبر .

– إنك تكذب !

اعترف ، وهو يضحك وقال :

– نعم .. ولكن كان باستطاعتي الحصول على ما أريد ولكنني قررت أن نكون عاشقين صبيحة يوم لقائنا .

جلست "سارة" وهي توجه له نظرة حادة :

– إذن لقد لعبت بي . كل هذا الحديث لا يهمك فيه إلا القليل فقط وهو : هل نكون صديقين أم عاشقين ؟

– هل هذا لغز ؟ لقد وقعت في حبك في اللحظة التي وقع فيها بصري عليك . ولكن دوافعي كانت نبيلة .

أجبرها على الرقاد وقال :

– هناك مسألة أخرى لابد من تسويتها يا دكتورة "بايرز" . إذا أردت أن تذهبي إلى "كوبا" الصيف القادم ، فأنت في حاجة إلي ، وخدماتي ثمنها غال.

– قم بهذه الخدمات بسرعة يا "جوناثان هيلي" ، فليس لدي وقت طويل أكرسه..

– حسناً . ستنتقلين إلى "نيويورك" وتقبلين وظيفة في جامعة " كولومبيا " وتتزوجينني .

اعتبرت "سارة" ذلك ثمناً معقولاً تدفعه كي تعيش في السعادة حتى نهاية العمر.